سامي أحمد الموصلي

الآي جنك

كتاب التنبؤ الصيني







الآي جنك كتاب التنبؤ الصيني

الآي جنك

كتاب التنبؤ الصيني

سامي احمد الموصلي

دار المعتز

الطبعة الاولى

٢٠١٢م – ١٤٣٢هـ

الفهرسة

حبسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حينما يأخذ أحدنا ثلاث قطع نقدية كل قطعة تتكون من وجه كتاب ووجه صورة ويلقيها في الهواء فسقطت على الأرض مشكلة ثلاث صور أو ثلاث كتابات ، أو اثنين صورة وواحد كتابة ، أو اثنين كتابة وواحد صورة ، فهي عملية عشوائية تعتمد على لا نظامية أو قانونية هذا السقوط فكيف إذا جاءك كتاب ألف قبل خمسة آلاف سنة في الصين ليقول لك ان هذا السقوط ليس عشوائيا وإنما فيه حساب دقيق مبني على نيتك وهدفك من إلقاء هذه النقود في الهواء وفيه جواب عن سؤالك حول تلك النية وذلك الهدف؟ فما الذي ستقوله في هذا الكتاب.؟ .

أليس كما قال بعض العلماء السلوكيين عن يونغ وهو يتحدث عن تزامنتيه في الآي جنك ان هذا الرجل مجنون.؟، ولا شك ان يونغ لم يكن مجنونا أبدا وإنما حاول ان يفهم حقاً هذه القطع الثلاث النقدية لماذا سقطت هكذا ولم تسقط بغير الشكل الآخر الذي تحتمله السقطة؟ ويشرح لك وجهة نظره قائلا [كل ما يحدث في دقيقة معينة مرتبط بحالة الكون كله آنذاك، وعليه ولو تم استخدام أسلوب رمي قطعة نقدية بغية

تقرير أحد أمرين فليس هناك شك حول النتيجة إذ ان كيفية سقوط القطعة النقدية سوف يكون محكوما من قبل الحالة السائدة]، فهل يا ترى نستطيع ان ندلل بقوانين الفيزياء النووية والسايكو فيزياء ونظريات الاحتمالات والصدفة والبايلوجيا والهندسة الوراثية والجينية وكل مفردات علم نفس الأعماق واللا شعور والسيكللولوجيا والباراسيكولوجيا هل نستطيع ان نبرهن علميا على مصداقية الآي جنك اقدم كتاب عرفه التاريخ؟ وحيث يرجعه بعض الباحثين إلى عام ٣٣٢٢ قبل الميلاد وتنسبه التقاليد الصينية إلى الحكيم الملك فوهسي البطل الثقافي الأسطوري وأول من ابتكر المتواليات وخطوطها : ما هي قصة هذا الكتاب - العجيب الغريب القديم قدم السؤال الإنساني نفسه عن المستقبل وعن الدهشة أمام الحوادث التي تقع للإنسان والمجتمع والكون؟ لقد تمنى كونفوشيوس - وهو قد علق على الكتاب وشرح مفرداته - ان يكون لديه خمسين سنة ليعيشها ليكرسها بأجمعها للتأمل في الآي جنك :

ان التاريخ - كما يذكر أحد الباحثين - لا يذكر كتابا وضعيا بشريا غير منزل أو ملهم أو موحى به ألهيا كالآي جنك كان له وما يزال حتى ألان من التأثير الكبير على المستوى الفردي والجماعي لان هذا

الكتاب شغل اهتمام كل الفئات من مثقفين وأميين وسحرة ومشعوذين ومتدينين وملحدين وفلاسفة ومتفذلكين وعلماء وجهلاء سواء بسواء على مستوى العالم كله وليس الصين والبلدان المجاورة لها فقط. ويقول ان هذا الكتاب دون جدال هو أهم كتب العالم الأدبي التي ظهرت في التاريخ هذا إذا لم يكن أهمها على الأطلاق لانه يمثل أول جهد قام به العقل الإنساني لموضعة الإنسان في الكون ولموضعة الكون في الإنسان. لقد كان هذا الكتاب أداة تستخدمها الجيوش في المعارك ويستعين بها الملوك في رسم سياساتهم ويعتمد عليها الشعب في توجيه شؤونهم الخاصة ثم اقبل العلماء أنفسهم على الاستعانة برموز هذا الكتاب في أبحاثهم ودراساتهم لقد كان عماد الفكر الصيني في السياسة والفلسفة والأدب والاخلاقيات والاجتماع والقانون والطب ... الخ ولم تبدأ مدرسة فلسفية واحدة من الاستعانة به بل ان الكونفوشيوسية والتاويه وحتى ماركسية ماونسي تونغ نجد فيها صدى الآي جنك وأحكامه وحكمه ما هو سر هذا الكتاب الذي عجز ويعجز كل العلماء عن سبر أعماقه وتفسير أحكامه علميا ومع هذا يستخدمه كل من اطلع عليه وخاصة بعد ترجماته العديدة في الغرب وطبعه بملايين النسخ؟ ما هو تأثير هذا الكتاب على يونغ وكولن

وولسن وستان كوش وكلاي ولماذا يعتقد بعضهم انه كائن حي فلا يتعامل معه ألا باحترام وخوف وخشية وكأنه ليس كتابا من ورق وحبر وإنما إنسان حي يسخر ممن يسخر منه ويجيب عن سؤال من يحترمه برزانة وروية وحكمة ما بعدها من حكمة؟ يقول كلاي مترجم الكتاب إلى الإنكليزية [من المرة الأولى التي قمت بها بذلك صعقت وشعرت بالخوف وكأني أتسلم إجابتي من إنسان يتنفس أمامي وليس من كتاب وكلما استخدمت الكتاب بعد ذلك انتابني ذلك الشعور الأول ... ولو طلب مني ان أؤكد ان الصفحات المطبوعة لا تحوي روحا أو على الأقل تتصل بروح من خلال عملية غامضة، ساجد نفسي في حيرة من أمري وغير قادر على ان أؤكد سلبا أو إيجابا].

أما الكاتب الباراسيكولوجي ستان كوش نراه يقول [ان مؤلفي هذا الكتاب باستخدامهم الحدس الذي يبدو ان لا علاقة له على الإطلاق بالعلم والموضوعية، توصلوا لمعرفة القوانين والعلاقات التي تحكم سير حياة الفرد على كوكبنا، وطبعا يبدو ذلك مستحيلا، ولكن الدليل يكون بالتجربة؟] وهكذا نراه يسال الكتاب كل سنة وكل ستة اشهر وكل شهر عن ما يريد ان يعرف من أمور مستقبله ويسال كوش

نفسه (وخامرني الشك هل ان كتاب أي جنك كائن حي؟ وهو يخلص إلى ان التركيب الداخلي للكتاب يبقى سرا غامضا بالنسبة له، أما كولن ولسن فهو يستشير الكتاب في مسائل شخصية دقيقة ويؤكد مصداقيته الخارقة وغير الطبيعية بل ان يونغ سأله عن نفسه وعن طبعته التي سيصدرها وكذلك يفعل كلاي مترجم الكتاب إلى الإنكليزية، بل ان بعض علماء النفس اليونغيين يطلب من مريضه ان يستشير كتاب الآي جنك حتى في تفسير أحلامه الغريبة. لقد تمنى يونغ بعد كونفوشيوس ان يكون له خمسين سنة من العمر لكي يكرسها لدراسة الآي جنك، فما هو السر الذي يجعل اكبر العلماء يقف حائرا أمام مثل هذا الكتاب الذي لم يطلع عليه القاريء العربي حتى ألان ولم يجده مترجما رغم انه غزا العالم اجمع؟ سنحاول في هذا الكتاب تقديم كل ما توفر لنا من معلومات حول هذا الكتاب وأسراره وأحكامه وأهميته سواء في الصين أو في العالم كله، وسنحاول ان نستخدم آخر مفردات الفيزياء والسايكو فيزياء وعلم نفس الأعماق ومفردات اللا شعور وكل ما توصل إليه العلم المعاصر من مفردات الصدفة النظامية ذات المعنى أو التزامنية الفيزيائية السيكولوجية لكي نضع القاريء أمام سلسلة التفسيرات الصينية القديمة والعلمية

الحديثة للآي جنك. فهل سنستطيع ان نتعرف على هـذه الـشفرة الـسرية التي تجمع الذرة والمجرة والكائن الحي ببرنامج جيناته وموروثاته؟ وسـنعقد فصلا للعلاقة الغير مدروسة بين الآي جنك وعلم الرمل المعـروف بعلـم النقطة في العربية ومدى التشابه والاخـتلاف في قـدراتهم التنبؤيـة وهـي أول محاولة من نوعها في هذا الباب.

حينما يذكر الباحثون ان أساس كتـاب الآي جنـك أو الـتغيرات يعود إلى أعماق سحيقة في التاريخ الصيني قـد تـصل إلى اكثـر مـن ثلاثـة آلاف سنة قبل الميلاد ويصفونه بأنه أول واقدم كتاب في التاريخ، فان هذا القدم يلقي علـى البـاحـث في مـضامين الكتـاب ان ضـرورة أن يتعـرض لطابع العصر الذي ولد فيـه هـذا الكتـاب لكـي يـستطيع ان يفهـم لغتـه المعقدة ورموزه المثيرة ودلالاته الرمزية التي ترتبط بطابع الفكر الذي كـان سائدا آنذاك، ومما يزيد في ضرورة هذا المطلب ان الأسـاطير والإشـارات الغامضة التي تحمل معاني خاصة بذلك العصر جاءت في الكتاب بـشكل لا يسمح بتفـسيرها ضـمن معطيـات عـصر مختلـف سـواء في الـصين أو غيرها، فالأسطورة والرمز والديانة تلعب دورا في معرفـة حقيقـة الـتفكير الـسائد لزمنهـا كمـا أنهـا تتطـور كمعطيـات مـع تطـور الـشعب الـذي يستخدمها ولهذا فان الخلفية الفكرية والثقافية للشعب الصيني قبل المـيلاد ستلعب دورا في فهم طبيعة هذا الكتاب الذي لعـب دورا كـبيرا جـدا في تاريخ هذا الشعب وحكامه. وأول ملاحظة على التاريخ الفكري للـصين

عموما هو انه فكر يعتمد الحكمة العملية للحياة لا على أساس المنطق أو نظرية معرفة أو منهجية خاصة بل على أساس من تصور أولي في الفكر الصيني يدمج بين الإنسان والكون كوحدة واحدة، فما ينطبق على الكون ينطبق على الإنسان لانه جزء من الكون مهما علت درجته أو انخفضت، ومن هنا فمن الخطأ الحديث عن مفهوم فلسفي بالمعنى الغربي في الفكر الصيني والصحيح الحديث عن الحكمة العملية فيه من هنا كما يقول أحد الباحثين في الفكر الصيني وحكمته [1] [فلو تساءل القاريء الكريم هل توجد مدرسة فلسفية صينية تشابه مدرسة ديكارت أوكانط تقوم على المنطق والإقناع العقلي فيما يتصل بالمعرفة أو الحقيقة أو الكون لكانت الإجابة بالنفي] ويفسر هذا الباحث سبب ذلك بالقول (ذلك لان المزاج الصيني لايستسيغ هذا النمط من التفكير، بحكم ان العوامل الطبيعية وظروف الحياة الواقعة لا تزال تؤثر في الفكر الصيني فلا يلقي بالا إلى تزمت المنطقي وحذلقته ولا يسلم أبدا بصحة رأي إنسان وبطلان رأي آخر، فليس ثمة لديه نظام مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحكماء الصين يصدفون عن الاستعانة في بحوثهم بالمصطلحات

(١) حكمة الصين

الأكاديمية وبالتعبيرات العلمية التي لا يـدرك كنههـا ألا صـفوة المفكـرين المتخصصين فهم يسعون دائما إلى تبسيط آرائهم في لغة سـهلة، وأسـلوب بسيط في متناول إفهام العامة] ان طابع المعرفة الواقعية في الحياة هو الذي يقود الصيني لطلب المعرفة ولا يطلب المعرفة لاجل المعرفـة فالـصينيون لم يعتبروا المعرفة شيئا ذا قيمة في حد ذاته مما صرفهم عن نشدان المعرفة مـن اجل مجرد المعرفة بل انه حتى بالنسبة للمعرفة العملية المنحى الـتي تـؤثر تأثيرا مباشرا على الـسعادة العاجلـة نجـد الـصينين يـؤثرون تطبيـق هـذه المعرفة

على الـسلوك الـواقعي الـذي يقـود إلى الـسعادة مباشـرة علـى الخوض في مناقشات جدلية بشأنها يعتبرونها هـم فارغـة لا جـدوى مـن ورائها ولهذا السبب لم يعمـل الـصينيون علـى إنـشاء مـذاهب فكريـة أو فلسفية كما هي عند اليونانيين أو الغـربيين. وغايـة مـا كـان يـسعى إليـه حكماء الصين هو تعليم طرق الوصول إلى مـا أسمـوه (الحكـيم البـاطن والملك الخارجي) . والحكيم البـاطن في رأيهـم هـو الإنـسان الـذي أقـام الفضيلة في ذاته والملك الخارجي هـو الـذي أنجـز أفعـالا رائعـة في العـالم فمناط مثل الإنسان الأعلى : ان يجمع بين فضيلة الحكمة وإنجـاز أعمـال

الملوك فيغدو ملكا حكيما ومن الغريب ان المعرفة ليست فضيلة عند الصينيين في حد ذاتها وكما هي عند سقراط مثلا لان الحكمة المطلوبة لا تتطلب كثير معرفة في رأيهم ويقولون [إذا كان الفرد حكيما يظل حكيما حتى وان افتقر تماما إلى المعرفة الثقافية، وإذا كان إنسان سوء يظل شريرا حتى وان حاز معرفة لا حدود لها].

ان عدم الفصل بين الذات والعالم في الفكر الصيني القديم جعل هذا الفكر لا يعاني ما تعانيه نظرية المعرفة الفلسفية من مشكلة الثنائية هذه، كما لا نجد معالجات كثيرة للمواضيع الميتافيزيقية. لقد عبد الصينيون القدامى خمسة أباطرة أسطوريين اعتبروهم أنصاف آلهة ونسبو إليهم كشف الزراعة وتنظيم الري أما أول حاكم بشري يذكرونه فهو الإمبراطور (ياو) الذي حكم الصين (٢٣٥٧-٢٢٥٦، ق م) وخلف هذا الحاكم وزيره القديم شون ٢٢٥٥- ٢٢٠٦ قبل الميلاد الذي خلفه الإمبراطور (يو) مؤسس أول أسرة مالكة صينية عرفت باسم (هسيا) لبثت تحكم البلاد حتى عام ١٧٦٦ قبل الميلاد ... الخ. وقد وصلت ألينا مأثورات صينية تعود إلى حوالي ١٤٠٠ قبل الميلاد كتبت على أحجار وعظام وفيها طقوس السكان الدينية وتنظيمهم السياسي ولكن ليس فيها

مدلولات فكرية على ان الحضارة في الصين لم تتخذ طابعا محددا ألا في عهد أسرة (تشو) التي بدأت عام ١١٢٢ قبل الميلاد، كما ان الصين لم تكن وحدة واحدة ولم تتوحد ألا في ٢٢١ قبل الميلاد حيث وحد القائد (تشين شيه) الصين تحت حكم أسرة تشين، ان هذا القائد لم يستطع توحيد الصين وإبقاءها موحدة ألا بعد ان قام بحرق تراث الصين من الكتب وحرم اقتناء كتب الشعر والتاريخ وحظر قيام المذاهب الفلسفية على اختلافها بيد ان الإمبراطور لم يحرق ألا ما في حوزة الناس ولم يمس السجلات الرسمية بسوء وقد اقتصر على تحريم التعليم الخاص لارغام الناس على الاتجاه إلى طبقة المدرسين الرسميين ليتولوا تعليمهم وابتغى من وراء ذلك في حرق المكتبات الخاصة توحيد مقاييس الفكر [٢]. وقد ذوى حكم أسرة تشين الهمجية عام ٢٠٧ قبل الميلاد فاخذ الفكر الصيني يزدهر ويترعرع من جديد في ظل حكم أسرة (هان) التي امتاز ملوكها بتشجيع القضايا الفكرية، وقد قام الأمير هواي - نان مات ١٢٢ قبل الميلاد ببذل مختلف ضروب التشجيع للمحيطين به من المفكرين لكتابة

---

(٢) نفسه المصدر ص٢٧

مؤلف تسجل فيه جميع الأراء الفلسفية الشائعة في عصره دون فارق بين مدرسة فكرية وأخرى.

على ان التراث الصيني القديم كما هو حال البشرية القديمة عموما ساده الاعتقاد بان الظواهر الطبيعية والأوضاع البشرية تقع جميعها تحت سيطرة إلهية وقوة خارقة للطبيعة، فكان ان جعل الصينيون كغيرهم من الشعوب القديمة - اعتمادهم ينصب على السحرة والعرافين باعتبارهم الواسطة بين الناس والأرواح وساد الاعتقاد بان الأرواح بوسعها تحقيق السعادة للبشرية وان تتلقى القرابين وان تندمج في الكائنات البشرية وادعوا قدرتها على التجسد، أي ان قدماء الصينين ربطوا بين أفعال الأرواح وتصرفات البشر برباط وثيق استحال معه الفصل بين فعل البشر وفعل الروح وفي عهد لاحق انبعثت فكرة السماء والإله لكن ظلت فكرة الأرواح العتيقة تسود العقول والإفهام ان الإيمان بالأرواح وقدرتها على التحكم بمصائر الناس قاد إلى الاعتقاد بالعرافة والسحر إذ آمن قدماء الصينين أيمانا راسخا بوجود تأثير مكين متبادل بين الأشياء في الكون والشؤون البشرية الأمر الذي أوجب عليهم الاستعانة بكافة ضروب الكهانة وبفضل ملاحظة الظواهر الطبيعية ادعوا القدرة

على التنبؤ بالكوارث المقبلة أو الرخاء الآتي. واهم أشكال الكهانـة الـتي كانت سائدة لدى الصينين هي التنجيم ويعتبر أهمها والتقدير الذي يعـين الفصول الأربعة بغيـة ضـبط أوقـات الاعتـدالين والانقلابـين وملاحظـة فترات الشمس والقمر والكواكب الخمـسة لتيـسر دراسـة أحـوال الـبرد والحر والحياة والموت والثالث يتصل بالعناصر الخمسة التراب، الخـشب، المعدن، النار، الماء، أما الشكل الرابع فيتعلق بأوراق نبـات العرافـة وهـي زهرة القنديل فكان طالب المعرفة حظه يقطع أوراق الزهـرة ورقـة ورقـة وفي الورقة الأخيرة يتمثل الرد على رغبتـه، أمـا صـدفة الـسلحفاة فكـان العراف يثقب حفرة فيها ويتعويضه للحرارة تظهر عـدة شـروخ يفـسرها العراف على أنها إجابة عن سؤال، والـشكل الخـامس الكهانـة الأحـلام والشكل السادس هي طريقة الأشكال ومدارها فيـاس وأحـصاء، عظـام والحيوانات المستأنسة الستة، الحـصان، الثـور، الخنزيـر، الغـنم، الكلـب، الدجاج، وكانت هذه الطريقة تستخدم عند بناء سور المدينـة أو منـزل أو كوخ.

ان مراجعة للتراث الصيني قبل كونفوشـيوس تـدلنا علـى وجـود خمسة مؤلفات استخدمها معلم الصين الأول لتثقيـف مريـد يديـه وهـي.

الأغاني. التاريخ. الطقوس، حوليات الربيع والخريف - التغيرات الآي جنك. ويقول حكماء الصيني بان لكل كتاب وظيفته، فالأغاني تصف اللوافع وتضمن الموسيقى التناسق ويبين التاريخ الأحداث وتوجه الطقوس السلوك وتظهر الحوليات الواجبات والصفات المميزة، ويكشف كتاب التغييرات النقاب عن تحركات الكون.

ان كتاب الأغاني يتألف من حوالي ثلثمانة بيت من الشعر يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد وبعضها أغان شعبية كانت شائعة في الصين في العهد الإقطاعي وفيها أغاني للأرستقراطية عند تقديم الغربيين والولائم وغيرها أما كتاب التاريخ ففيه سجل للأحاديث الهامة التي أدلى بها الحكام والحكماء أو مستشارو الدولة إذ كانت عادة صينية قديمة حميدة ترجع إلى مطلع التاريخ الصيني تقضي بتسجيل الخطب والرسائل كتابة وفيه ثماني وخمسين قطعة وقد كتب كونفوشتيوس مقدمة لكل وثيقة توضح ظروف تأليفها وفيها وثائق تتحدث عن الإمبراطورين الحكيمين باو وشون وتسرد مآثرهما، فتذكر عن الإمبراطور رياو انه لما حكم البلاد سبعين سنة وأمن بعجزه عن أدارتها بكفاية صدق عن

تنصيب ولده البكر على العرش وتنازل عن التاج لفلاح فقير يدعى (شون) اشتهر بالحكمة والخلق القويم.

أما كتاب الطقوس فهو مجموعة نصوص تتناول مواضيع متعددة منها السلوك في الحياة اليومية وأما الكتاب حوليات الربيع والخريف فهو سجل مختصر وجيز لأحداث مملكة لو للفترة ٧٢٢-٤٨١ق ج وتنسب هذه الحوليات إلى جمع كونغوتيوس لها من سجلات كانت محفوظة في تلك المملكة.

وأخيرا كتاب التغييرات الآي جنك الذي ينسب إلى أزمان سحيقة كما ذكرنا وقد وضع له كونفوتيوس حواشي عديدة.

ان الملاحظات التي يسجلها أحد الباحثين على هذه المراجع الخمسة تتلخص بما يلي [٣].

١ - أنها جميعها تقريبا يرجع عهدها إلى ما قبل كونفوشيوس فهي تمثل اتجاهات الشعب الصيني الأدبية في مطلع تاريخه.

٢- ينعقد إجماع الباحثين على ان كونغوتيوس نفسه قد تولي تجهيز نصوص المراجع وأعدادها للنشر وعلق عليها.

---

(٣) حكمة الصين جـ١ ص٤١

٣- أصبحت هذه المراجع منذ القرن الأول الميلادي أي بعدما ما سادت الآراء الكونفوشيوس الفكر الصيني موضع دراسات الطبقة المثقفة وغاية تطلعاتها الثقافية.

٤- اعتبر كتاب التغييرات وصفيا للكيان الميتافيزيقي للكون.

٥- اعتبرت الخطب الواردة بكتاب التاريخ سجلا لتنظيمات الدولة وأعمال الحكومة خلال عصور الملوك الحكماء وأصبحت نماذج ينصح الحكام في العصور التالية بالنهج على منوالها.

٦- فسرت الأغاني الشعبية وأناشيد الطقوس الواردة في كتاب الأغاني على أنها تعبير عن عواطف المحبة والتقدير التي يكنها الشعب للحكم الصالح وسخطه على الحكم السيئ.

٧- اصبح كتاب الطقوس الحكم الأخير في جميع ما يتصل بآداب السلوك.

٨- لم يعتبر حوليات الربيع والخريف مجرد سجل لوقائع حدثت في منطقة معينة من الصين، بل اعتبرت وسيلة تحقق لكونفوشيوس نقل أحكامه على الناس والأحداث في ماضي الزمان

وتضم بين طياتها طائفة من القوانين والمبادئ الخلقية التي تهدي الحكام سواء السبيل.

أما بالنسبة لمعتقدات الشعب الصيني في مطلع تاريخه فقد تبلورت فيما يلي.

١ - أيمان بمعبود علوي أو قوة خلقية تسيطر على العالم وتهتم اهتماما شخصيا فائقا بأمور البشر.

٢- تصديق بوجود عدد من أرواح الطبيعة وأرواح الأجداد، وعلى الناس ان يترضوا هذه الأرواح عن طريق بذل القرابين.

٣- اعتقاد في الإجازة الربانية للنظام السياسي وفي مسؤولية الحاكم الخطيرة على المجاز واجباته المعنوية ازاء السماء وتجاه رعاياه.

في هذه الخلفية الثقافية والفكرية مارس كتاب الآي جنك (التغيرات) وجوده ونشاطه وبقي يعمل منذ ذلك العصر إلى اليوم بشكل يجعل الإنسان الغربي ذو العقل المنطقي والتجريبية العلمية يقف أمامه مدهوشا خائفا وهو يستشيره وكأنه كتاب حي يتحدث إليك برموز وضعت قبل آلاف السنين فتجد جوابه اليوم صادقا، فما هو الموقف السابق للصينيين من هذا الكتاب؟ وكيف استمر يؤثر بحياتهم عبر مختلف

العصور والثقافات وحتى اليوم؟ بـل وكيـف نـستطيع نحـن أبنـاء القـرن العشرين ان نتعامل مع كتاب رمزي مطلق ذي تـصورات صـينية صـرفة دون ان نخش الخداع الذي انكشفت ممارسـاته في اكثـر عمليـات الكهانـة والسحر ومات كل ذلك؟:

لم يكـن لأي كتـاب اثـر في حيـاة شـعب أو أمـة - عـدا الكتـب السماوية المنزلة - مثل ما كان لكتاب الآي جنك للصين فلهـذا الكتـاب عند المفكـرين الـصينين [٤] منزلـة رفيعـة، أنزلتـه منزلـة التقـدير ويكفـي الإشارة إلى تكريس الدولة في الصين القديمة أساتذة يعكفون على دراسته حتى ليقدر عدد الرسائل التي صنفت عليه بآلفي رسالة حتى عـام ١٦٩٢ ميلادية، وعلى مدار تاريخ الصين الطويل استمد منه المـصلحون العظـام إلهامهم و وحيهم، ووجدوا فيه سـندا فكريـا يمكـنهم مـن تمهيـد الطريـق الفكري أمـام إصـلاحاتهم كمـا كـان عامـة الـشعب يستـشيرونه فكلمـا جابهت الفرد مشكلات الحياة تـولى شـطر الكتـاب يـسأله، فلقـد اعتـبره

(٤) مجلة المعرفة ص٣٧ ع ١٨٨ سنة ١٩٧٧

الناس وسيلتهم لمعرفة الإنسان وأدراك كنه الكون، وترجع التقاليد الصينية المأثورة العهد بتأليف الكتاب إلى عام ٣٣٢٢ق ج. وتنسبه إلى الملك الحكيم (فيوهسي) البطل الثقافي الأسطوري أول من ابتكر المتواليات ذات الخطوط أساس الكتاب، ومهما يكن من أمر صحة هذا التاريخ فلا شك ان فكرة الكتاب موغلة في القدم، ولعل اقرب الأمور إلى الحقيقة، ان الملك (ون) مؤسس أسرة تشور الملكية ١١٥٠-٤٩ قبل الميلاد هو الذي جمع مواد الكتاب المتفرقة وبقربها في الصورة التي اصبح عليها قبلما يلحق به حكام هذه الأسرة الكثير من مواد التراث الشعبي ويذيله كونفوشيوس ومريدوه بتلك الحواشيء والتعليقات التي أصبحت من صلب الكتاب في صورته الحالية المتداولة ويطلق على الإضافات الكونفشيوسية اسم (الأجنحة) وتؤلف جماع منافشاته مع مريديه عن الكتاب.. ولقد اقبل العلماء أنفسهم على الاستعانة برموز هذا الكتاب في أبحاثهم ودراساتهم فأصبحت عماد الفكر الصيني في السياسة والفلسفة والآداب والأخلاقيات والاجتماع والقانون والطب ... الخ. ولم تبدأ مدرسة فلسفية واحدة حتى من الاستعانة بهذا الكتاب بطريقة أو أخرى وما برح هذا الكتاب تأثيره على الفكر الصيني وقتنا الحاضر.

لقد كانت هذه الاستثنائية لهذا الكتاب تعكس نفسها في جميع الممارسات الصينية ولكل صيني بشكل يتناسب ووصفه، لقد قال لأوتي ذات مرة ((جوهر كل شيء التغير وجوهر التغير الآي جنك)) أما كونفوشيوس فينسب إليه قوله في أواخر أيامه [لو منحت خمسين سنة أخرى لا عيشها لكرستها بأجمعها للتأمل في الآي جنك] ويعلق أحد الكتاب على أهمية الآي جنك بالنسبة للصين قائلا [ليس من الغلو القول بان تاريخ الحضارة الصينية هو تاريخ الآي جنك إذ ان كل ما أعطته الصين من سحر آخذته منه وكل ما أدخلته من أديان أخرجته منه وكل ما فرعته من فلسفات اصله منه وكل ما حققته من علوم تخيلته فيه فلا يكاد يوجد شيء في الصين إلا وتأثر بالآي جنك من أمور الحياة اليومية للفرد وللزوجين والأسرة والشارع والقرية والمدينة والدولة إلى أمور الصناعة والزراعة والتجارة والاقتصاد من فن الإدارة المنزلية إلى فن الإدارة السياسية، من فن تربية الأطفال إلى فن تربية الدواجن، من الهندسة إلى الهندمة، من كل ما يتخيله المرء إلى كل مالا يتخيله إذ ما من شيء قادر على التملص من طوق الآي جنك وما من شيء إلا ويمكن إقحامه في الآي جنك وعلى هذا فان كل ما نبت ونما وتفرع أورق وأزهر

وأثمر في حقل الحضارة الصينية كانت بذرته في الآي جنك، وتأكيدا لهذا تكفي المعرفة بان كل ما جرى في الصين قديما وحديثا قد بدأت انطلاقته من الآي جنك فاكبر المدارس السحرية - مدرسة فانج تشي - واهم الديانات - الديانة التاويه - وأقوى الفلسفات الفلسفة الأخلاقية - واهم المنجزات العلمية - الآلة الذاتية الحركة - في الصين القديمة وكل ما جرى بين ضفتي نهر الحضارة الصينية قد استقى من نبع الآي جنك وتفرع سواقي وانهارا وروافد وسيولا ليشكل من الآي جنك بحرا لا يسبر غوره ، وتقليل العجب يستدعي أيضا التذكر بان الآي جنك هو الكتاب الوحيد من بين جميع الكتب الذي نجا من الحريق الكبير الذي قام به الطاغية شانج شي هانج تي، وأما في العصر الحديث فان هناك كثير من القرائن الدالة كما ان هناك نوعا من الاعتراف الضمني صدر عن ماوتسي تونغ بان الأسس النظرية التي ركز عليها فكره الثوري والمنطلقات العملية التي سار عليها لتحقيق الثورة الصينية الكبرى إنما هي مزيج من الماركسية اللينينية بمعطيات الآي جنك].

أذن فان كتاب الآي جنك هو روح الصين وخلاصة مركزة لحضارتها وقائدا لحركاتها وحكامها وشعوبها وأفرادها وقد قيل ان

الصيني يمشي على قدمين هما الكتاب الأحمر لماوتسي تونـغ والآي جنـك وإذا بترت إحداهما أصيب المرء بالعرج. بل ان بعض الحكام فرض علـى نفسه إلا يقبل أي شيء إذا لم يكن في هذا الكتاب إشارة إليه ولو ضـئيلة، وعلى الرغم من ان الثورة الصينية الحديثة منعت كل ممارسة فتاحي الفال وكاشفي البخت إلا ان هذا الكتاب بقـي كتـاب البيـت الـصيني وركيـزة مكتبته مع الكتاب الأحمـر، لقـد جمـع هـذا الكتـاب أذن الثقافـة الـشعبية الصينية لسكان البلد الأصليين وصعد معهم إلى الـبرج العاجيـة بمعارفهـا فخمرها وقطرها وعمقها لتكون كالمـاء أو كـالخمر كمـا صـعد بتجاربهـا فغربلها ودرسها وطحنهـا وعجنهـا وخبزهـا لتكـون كـالخبز أو كـالادام اليومي ثم رد البضائع إلى أصحابها ليعيـشوا عليهـا جـيلا بعـد جيـل ممـا أعطى الصين قيمة حضارية أجبرت المستخفين علـى التقـدير. والمقـدرين على التعظيم؟ ...

لقد ارتبط كتاب الآي جنك بالصيني ارتباطا لم يـرتبط بـه إنـسان بكتاب غير سماوي مثله، واخذ الصيني بعـد انتـشار الكتـاب في الـشرق الأقصى يحس بقيمة انتمائه للكتاب وانتماء الكتاب له لقـد كـان الـصيني حينما يفكر بان هذا الكتاب صيني المنبت والأصل والمنشأ اخذ يغزو دول

الشرق الأقصى يحس به كمسالة وطنية أو شعور وطني إضافي، وهـذا مـا أدى الشعب الصيني إلى اعتباره كتاب أساسيا والى إكبـاره كرمـز أسمـى للحس الوطني والوحدة الشعبية والى تقديسه تقديس الشعوب لـشهدائها وأبطالها والى الانكباب عليه انكباب المرء على موارده الذاتيـة والتـصرف به تصرف الإنسان بممتلكاته الخاصة وذلك بحريـة ومـسؤولية بجبـو تربيـة ويذكر أحد الكتاب [٥] ان هذا الكتاب ظهر في العالم الغربي داخل كتاب الفلسفة الكونفوشية لاول مرة عام ١٦٨٧ حينما ترجم هذا الكتاب مـن أربعة من الرهبان اليسوعيين إلى اللغـة الفرنـسية وفي عـام ١٧٨٣ أرسـل أسقف كلاوديوبوليس إلى أحد مجامع الكرادلة نـشرة محسن الآي جنـك تضمنت المقطع التالي (إذا صدقنا ما جاء في التواريخ الـصينية فـان هـذا الكتاب يرجع إلى ٤٧٠٠ سنة خلت فإذا كان هذا صحيحا كما يؤكده كل فرد من سكان هذا البلد أمكننا اعتباره هذا الكتاب اقدم كتاب في العـالم، ومع ذلك فالاي جنك لا يبدو كتابا ولا أي شيء يشبه الكتاب بـل يبـدو لغوا، غامضا، مبهما، اكثر مئة مرة من غمـوض وإبهـام أبـي الهـول، وفي عام ١٨٣٤ ترجم الآي جنك إلى اللاتينية ولكن مع كل هذا فان الكتـاب

(٥) مجلة المعرفة ص٤٢.

لم ينتشر إلا في مطلع القرن العشرين بعد ان أخذت ترجمات نـصوصه إلى اللغات الغربية الحية تتوفر بين الأيدي وفي الأسواق، وتعتبر اكمل ترجمـة إلى العالم الغربي التي أنجزها ريتشارد ولهلم بعد جهد استغرق منه اكثر من عشر سنوات والتي قدم لها العالم النفـسي يونـغ بدراسـة ركـز فيهـا علـى جانب كشف الغيب في الآي جنك وأضاف إليها بعد ذلك أراء جديدة في كتاب الإنسان ورموزه. ويصفه الكاتب ستان كوش بقوله [٦] [ان كتاب أي جنك معجزة أزليـة حيـة يعـود تاريخهـا إلى آلاف الـسنين واسـتمرت ليومنا هذا ... انه من الحكمة الصينية القديمة وهـو بمثابـة مهـبط الـوحي الذي يتحدث عن المستقبل] ويضيف ستان كوش [الكتاب قـديم جـدا يعود تاريخه إلى ما قبل عصر الكتابـة وكـان في الأسـاس تـراث شـفاهي، فقبل الأف السنين كان الناس يثقون كثيرا بالقدرة الحدسـية ويـستطيعون التحكم بها إذ لم يكن لديهم عالم يقف في طريقهم ويضع نفسه بينهم وبين حقيقتهم].

(٦) نشرة البارسيكلوجر حـــ٦ ص١٨-١٩.

ويصفه كلاي وولتهام بقوله [(٧) قد يكون اقدم كتاب في العالم، وحكمته ترجع إلى حكماء الصين القدامى وقد اشتغل الباحثون بدراسته لاكثر من خمسين قرنا من الزمان، انه يفصل العلاقات المعقدة والدقيقة بين الإنسان والعالم من حوله، انه يستخدم باعتباره كتابا تنبؤيا، باعتباره وسيلة للتنبؤ بالمستقبل، (٨) وفي مقارنة بين الآي جنك وأوراق التاروت يعلق كولن ولسن على الكتاب قائلا [(٩) وهناك جانب واحد تبدو فيه أوراق التاروت أدنى من مستوى كتاب أي جنك، فقد أوضحت من قبل انه رغم ان كتاب أي جنك هو كتاب للكشف عن الغيب وقراءة الطالع في المستقبل فانه يحاول أيضا ان يرفع العقل إلى مستوى أعلى من مستوى طرح الأسئلة عما هو مقدر له، أي انه يحاول ان يجعل العقل نشيطا مسيطرا على ذاته بدلا من ان يظل مهموما في سلبية بما يخبئه له المستقبل).

---

(٧) نشرة النيامسيكلو جر. جـ٨ ص٢٨.

(٨) الإنسان وقواه الخفية ص١٢٩.

(٩) مجلة المعرفة ص٣٦-٣٧.

وهكذا نصل إلى ان هذا الكتاب هو أحد أهم كتب العالم التي ظهرت في التاريخ، لانه يمثل [10][أول جهد قام به العقل البشري لموضعه الإنسان في الكون ولموضعه الكون في الإنسان، جهد بزغ مع فجر الحضارة في الصين وظل مستمرا يتفاعل ويفعل في الحضارة الصينية وفي الحضارات الأخرى حتى هذا اليوم، ولقد انطلق هذا الجهد من حقيقة ان مايطرأ من تحولات عن الطبيعة الفردية هو ذات مايطرأ من تحولات على الطبيعة الكونية وهدف اول ما هدف إلى ان يكون كتابا في الاستخارة يخلص الإنسان من مشكلة الاختيار ثم تحول هو أيضا بدوره إلى مقلع للفنون السحرية ومنبع للإلهامات الدينية ومهب للمبادئ الفلسفية ومقبس للإنجازات العلمية فصار كتابا للمعرفة ذا نمط فكري في احتواء كل أنماط عالم الفكر عن طريق اسر الكون في قفص عدد من التكوينات الهندسية التي سيتضمن كل واحد منها عدد متساويا من خطوط قد تكون منفصلة وقد تكون متصلة، خطوط تتحول وتتغير وتتبدل من مكانها مرة بعد مرة لترسم بهذا التحول والتغير والتبدل دورة الحياة الفردية في دائرة الحركة الكونية ومسار الحركة الكونية في حلقة الحياة الفردية ... الخ ان

---

(١٠)

التاريخ لا يذكر كتابا أدبيا وضعيا بشريا غير منزل أو ملهم أو موحى به أهيا كالآي جنك كان له وما يزال حتى الان مثل هذا التأثير الكبير على المستوى الفردي والجماعي والعام إذ ان الآي جنك شغل اهتمام كل الفئات من مثقفين وأميين وسحرة ومشعوذين ومتدينين وملحدين وفلاسفة ومتفذلكين وعلماء وجبلاء سواء بسواء ويبدو هذا الاهتمام وهذا التأثير اكثر ما يبدو في الصين منبت الآي جنك الأصلي وفي البلدان المجاورة التي تنبت الآي جنك فيما بعد كفيتنام والتيبت واليابان وأجزاء كبيرة من الهند وبلدان أخرى وفي كل فرد اطلع عليه في أي نحو من أنحاء العالم، ان البحوث والدراسات أدت إلى ان كثيرا من حكام الدول المجاورة للصين كانوا يرسلون بعضا من حكمائهم إلى الصين ليدرسوا ويستزيدوا من ثمرات الآي جنك. فما هو السر الكائن وراء هذا الكتاب العجيب؟ وكيف توصل حكماء الصين الأوائل إلى كتابته واستخراج واستخلاص أحكامه من مفردات ساذجة بسيطة لا تتجاوز السلبي والإيجابي وصف الطبيعة؟ وكيف تأتي أحكام هذا الكتاب مناسبة للموضوع المسؤول عنه دون أي رابط موضوعي بينهما سوى نية السائل الذاتية وحروف الكتاب الموضوعية؟ ثم كيف يمكن لا عداد محدودة من الأشكال لا تتجاوز (٦٤)

شكلا ان تجيب على ملايين التساؤلات المختلفة دون ان تخطيء أو حتى تضيع في وسط هذه الملايين؟. هل في الكتاب حياة؟ هل فيه روح؟ هل هو كائن حي؟ ولماذا يطالب السائل ان يتعامل أخلاقيا مع الكتاب وكأنه ليس ورقا وحروفا مسطرة عليما؟ وهل حقيقة ان اللاشعور هو أساس التفسيركما يقول يونغ أو انه في الكتاب وغموضه وأسراره؟.الآي جنك / والتفسيرات الصينية.

لا شك ان البدايات القديمة لاستخدامات الآي جنك كانت لا تتجاوز مسالة الاستخارة وقد كانت طرق ووسائل الاستخارة واسعة الانتشار، وكثيرة الاستعمال في الأزمنة القديمة وكانت كلها على تعددها متشابهة في النتيجة التي تهدف إلى حسم مشكلة الاختيار بنعم أو لا وهذا كان هو الهدف الأساسي لهذا الكتاب ووظيفته الأصلية، ويعتقد بعض المؤلفين ان الخط المتصل كان يعني نعم وان الخط المنفصل كان يعني لا في أي استخارة ولما دعت الحاجة إلى إجابات اكثر تفصيلا تم مزج وربط الخطوط المفردة بعضها ببعض فتشكلت أربعة تكاوين هندسية مزدوجة الخط ثم وتلبية لحاجة الناس إلى زيادة معرفة زيد خط ثالث إلى التكوينات الأربعة المزدوجة الخط فنتجت الأشكال الثمانية ثلاثية الخط

وهذه الثوالث الثمانية هي رموز موقوفة الحالات التغير المستمر، أنها صورة تظل مستمرة في التغير بثبات ودوام، وهي صورة لحركة الأشياء في مسار التغير ولا تمثل الأشياء ذاتها، على ان مهمة الكتاب عبر الزمن تغيرت من كتاب استخارة إلى كتاب تنبؤ مستقبلي وكتاب معرفة، فإذا كان المستخير في السابق يبقى عند حدود نعم ولا دون ان يعرف سببا أو تفسيرا لهذه الاختبارات اصبح يريد ان يفهم ما الذي يجعل الأمر إيجابا أو سلبا وبدأ الوعي الإنساني بالتعرف على أسباب هذه الألية ويدأ يحاول ان يفك غموض هذه الأشكال الهندسية وكيف تعمل ليزداد قناعة وفي سبيل ان يسهل استخدامه من كل الناس طرحت عدة تفسيرات وملاحق وهوامش تجاوزت إلى القرن السابع الميلادي آلفي ملحق أو هامش أو تفسير، فكيف تطورت هذه التفسيرات والملاحق وهل فعلا أضاءت لنا سرا من أسرار هذا الكتاب العجيب؟.

ان النص القديم للكتاب فيه غموض شديد وعبارات قصيرة لا تتجاوز بضعة اسطر وقد عمل فوهسي على تأليف هذه الثمانيات من ملاحظته للطبيعة ولنفسه ودمج في فهمه بينها ونسب جمع الكتاب إليه ويعتبر فوهسي هو أساس الكتاب وقد جاء عنه في هذا الكتاب عبر ملاحقه انه

وصل إلى حكم كل ذلك الذي كان يصادف تحت السموات رافعا بصره، تأمل الأشكال البراقة التي كانت تتصاعد نحو الأعالي وبإنزاله لاحظ التفاصيل التي تعرضها عليه الأرض تمعن في الظواهر الزخرفية للطير والبهائم.

ومختلف خصائص التربة اكتشف بان الأشياء الموجودة داخل كيانه هي ذات الأشياء التي تسمح له المسافة بتأملها.

أما التفسير الآخر فينسب إلى الملك وان مؤسس سلالة كاو الذي عاش في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ويعزى إليه الفصل في ترتيب السواديس وتسميتها وفي كتابة أول تفسير لها وهو تفسير أجمالي لا يتطرق إلى تفصيل وشرح كل خط على حدة، ويأتي بعده الملك شان أو الدوق كاو وهو من يعزى إليه الفضل في كتابة الشروح التفصيلية لكل سادس خط بخط على ان كل هذه التفسيرات بقيت قاصرة عن كشف غموض وإبهام الآي جنك، ومن هنا فقد تعددت الملاحق ووصلنا منها سبعة فقط هي على التوالي. (١١)

(١١) مجلة المعرفة ص ٦١-٦٢

١ - الملحق الأول وينطوي على تفاصيل زيدت بكلمة أو بعدة كلمات وأضيفت جملة أو عدة جمل بين سياق ما كتبه الملك وان في تفسيره العالم الإجمالي.

٢- الملحق الثاني وينطوي على حواريات لأسئلة وأجوبة مستنبطة مما كتبه الدوق كاو في شرحه التفصيلي وذلك لخلق جو من العلاقة المباشرة بين القاريء والمقروء.

٣- الملحق الثالث ويسمى الملحق الكبير وهو الملحق المنسوبة كتابته إلى كونفوشيوس، وفيه تفاسير صعبة وشروح معقدة ابتعدت في كثير من الأحيان عن فحوى وغاية الآي جنك الأصلية مما أدى إلى تأسيس مدرسة خاصة اهتمت بتفسير تفاسير هذا الملحق ويشرح شروحه.

٤ - الملحق الرابع ويحتوي على تأملات طويلة وتعمقات مسهبة تدور حول السادوسين الأولين اللذين يمثلان السماء والأرض.

٥ - الملحق الخامس ويتضمن كل المعاني التي أعطيت للتواليث الثمانية حتى زمن كونفوشيوس وهذا الملحق هو الذي جعل الناس في الأقطار يظنون بان الآي جنك ما هو غير قاموس في اللغة الصينية ومترادفاتها.

٦- الملحق السادس ويضم تفنيدا للأسباب التي دعت إلى تنظيم السواديس، بالترتيب المتتالي والمتابع الذي تندرج تحته داخل الكتاب.

٧- الملحق السابع وفيه رؤية شعرية للآي جنك مستوحاة من عناوين السودايس وذلك عن طريق جمع هذه العناوين بشكل ثنائي كازواج ضمن دائرة الين يانغ التي تدور فتتابع على محل ما هو موجود والأدوار مرفقا لتحولات الليل والنهار.

ان هذه الملاحق وضعت لتساعد على فهم الآي جنك وليست جزءا منه.

على ان هناك من يرى ان هذه الملاحق التي كانت بسبب غموض الكتاب الأصلي ساعد على لحو شتى الخرافات والأسرار حول الكتاب ولهذا من أراد ان يعرف ماهية هذا الكتاب عليه ان يزيد كل شوائب التفاسير وأوساخ الشروح التي أقحمت عليه وهو يرى ان هذه الإزالة ضرورية ولا غنى عنها سواء بالنسبة للخزعبلات والاختلافات التي نماها إليه السحرة الصينيون أو بالنسبة لكل طريقة تسعى إلى فهمه على أساس النظريات الخرافية الحديثة التي تحاول تفسير كل الثقافات التاريخية بناء على معطيات فكرتها وخبرتها الهمجية البدائية وهكذا او بعد أجراء عملية التعزيل الثقافي في هذه يمكن الوصول إلى المبدأ الأساسي لفهم

الآي جنك إلا وهو كما يرى هذا الكتاب ان هذا الكتاب يجب النظر إليه على ضوء محتواه بالذات وثانيا يجب شرحه بحسب معطيات الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها تفسيرا بتفسير وشرحا بشرح فبهذا ينقشع ضباب الغموض عنه ويضاء ظلام إبهامه مما يؤدي إلى الإدراك والملاحظة بان فهم الآي جنك لا يشكل للأذهان صعوبة اكبر من أي كتاب قديم.

اننا سنحاول فيما يلي تحديد التفسير الصيني للاي جنك ضمن اطار الفلسفة الصينية السابقة وضمن المحاولات اللاحقة للمدارس الفكرية الصينية كمدرسة الين واليانغ والتاويه اضافة إلى الكلونفوشيوسية كما سنحاول ان نعرف بالمصطلحات الواردة في هذه الفلسفة والتي ترد كثيرا في كتاب الآي جنك مستعينين بكل ما توفر لدينا من معلومات عنها، بحيث ان القاريء للآي جنك وأجوبته يستطيع ان يستكنه أو يستبطن المعنى الغامض فيه من خلال هذه التفسيرات، إضافة إلى انه يستطيع ان يفهم الآي جنك بعقلية صينية والتي كانت تعبر عن نفسها وروحها من خلال فلسفة الآي جنك نفسها ان صح التعبير، إضافة إلى ان كل هذا سيجعل القاريء ينشط حدسه في سياق المفهوم الصيني وليس خارجه، وهذا ما يجعله اكثر قدرة على فهمه واستيعابه واستخدامه بشكل سليم،

وقد اعتمدنا لقلة المصادر عن الفكر الصيني بهذا الجانب على كتاب حكمة الصين جامعين فيه ما تناثر هنا وهناك حول هذه المصطلحات والمفاهيم والآراء.

:• •• •• • •••••• ••••••• • ••••••••

حينما يتحدث كتاب الآي جنك عن نفسه نرى انه يتحدث عن عملية التغير الشامل كأساس لكل الأشياء ويتحدث عن بدايات الثقافة البشرية التي عكسها فوهسي مؤلف الكتاب عن ملاحظته للطبيعة وقراءته لها ثم يتحدث عن أول سداسية لأشكالها وهي سداسية السماء والأرض ثم يتحدث عن الأول الأعظم الذي سبق كل شيء ويفعل تحركه وسكونه وجد اليانغ والين ومن ثم يتحدث عن الإخلاص كجوهر للحكمة ومبدأ السماء الأصلي. فكيف يتحدث كتاب الآي جنك عن نفسه بنصوصه الأصلية وقبل محاولات التفسير والإضافات اللاحقة : ونحن هنا ننقل بعض هذه الفقرات والمقتطفات مختارين ما يعبر عن هدفنا من خلال كتاب حكمة الصين وما فهمناه منها فنقول - (النص):

١ - عملية التغير الشامل :

السماء مرتفعة والأرض منخفضة وبهذا تتحدد السماء والأرض، ومصداقا لهذا يتحدد مكان الشريف والوضيع. ولكل من الحركة والراحة وضعه الثابت، ومن هنا يختلف القوي عن الضعيف، وتتطابق السبل وفقا لأنواعها، وتنقسم الأشياء إلى رتب لذلك يحدث الحظ الحسن والحظ السيئ. وفي السماء تتبدى الظواهر وعلى الأرض تعرض الأشكال، وعن طريق عرض الأشكال يصبح التغير والتحول واضحين. وهكذا تتفاعل خطوط المتواليات الثلاثية الثمانية الضعيفة والقوية ويؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به. ان الأشياء يستفزها الرعد فينبعث موسم البرد يتلوه موسم حرارة ان طريق السماء يكون المذكر أما طريق الأرض فيكون المؤنث، تميز السماء الابتداء العظيم في حين تضفي الأرض على الأشياء تمامها، ان أدراك السماء مستمر من السهولة واليسر. ان تعاقب حركة ألين واليانغ يؤلف ما يطلق عليه (السبيل القويم) ومنه ينبعث الشيء الصالح، ويبلغ مرتبة الكمال بفضل الفطرة البشرية، وعندما يميز الإنسان

السبيل القويم يطلق عليه (الإنسانية) لكن الحكيم يطلق عليه الحكمة، وتعاقب ألين واليانغ هو عامل الإنشاء وإعادة الإنشاء.

التفسير : ان هذا النص يتضمن وصف موضوعي للأشياء والتقابل بينها. فهناك سماء وارض وهناك ارتفاع وانخفاض، وهناك كان شريف ووضيع وهناك حركة وراحة وقوي وضعيف وهناك انقسام للأشياء ورتب يحدث عنها حظ سيئ وحظ حسن وهناك في السماء ظواهر وعلى الأرض أشكال والأشكال الأرضية تتغير وتتحول، ويعبر عن كل هذا بشكل لكل منهما فهناك قوي وضعيف – وهما يتفاعلان ويؤثر كل منهما بالأخر، وهناك حرارة وبرودة وهناك مذكر سماوي ومؤنث ارضي من كل هذا تولد مفهوم ألين واليانغ معبرا عنها بشكلين هما خط متصل شرطه لليانغ وخط منقطع يعبر عنه بالين و من خلال تعاقبهما يكون الطريق ليصل إلى الشيء الصالح.

ان هذه الأرضية الموضوعية للأشياء هي الرسم الأولي والخلفية الأساسية لعملية التغير فما الذي يحدث بعدها حينما تدخل هذه الأشياء الوعي البشري لتبدأ عملية الفهم والثقافة عنها؟

٢- بدايات الثقافة البشرية ١- عندما كان فوهسي - وهو مؤلف كتاب الآي جنك كما يقول الصينيون بحكم نص العالم - تطلع إلى السماء ليرصد مظاهرها، وشخص إلى الأرض ليعاين أشكالها، فلاحظ. أشكالها وسماتها وكيف توائم نفسها وفقا لبيئاتها أوصت إليه دراسته لبدنه نفسه طائفة من الآراء، لكنه مضى أبعد من ذلك فاستخلص أفكارا قيمة من دراسته للأشياء الأخرى وبفضل دراساته هذه ابتكر الثمان متواليات ذات الخطوط الثلاثية، لكي يفقه فضائل الكائنات الروحانية وليصف أحوال جميع المخلوقات.

التفسير : هنا دخل الوعي الإنساني المبدع فاخذ الثنائيات والأزواج المتنافضة المتفاعلة المذكورة سابقا وأعطاها رموزا على شكل خطوط متصلة ومنفصلة وهي وسيلة مختصرة ورمزية للتعبير عن تفاعل الأشياء وتأثرها ببعضها البعض، أي حول الحركة المادية المرصدة في السماء والأرض وتنوع أشكالها ومظاهرها إلى مجردات رياضية أو هندسية لسهولة وصفها وقياسها حينما يراد التعبير عنها، ولعل خير تعبير تفضيلي واولي عن هذه الأشياء هو سداسية السماء والأرض.

٣- سداسية السماء والأرض : جميع خطوط متوالية السماء متصلة وتعبر عما هو عظيم مبدع ونافع وقويم وراسخ فالسماء منشأ جميع الأشياء وبفضلها تتبدى في أشكالها الكاملة ويتبلور أسلوب السماء في التعبير والتبديل بحيث ينال كل شيء في الكون فطرته السليمة التي تحددها السماء وعندئذ يتحقق للكون الوحدة والتجانس. أما الأرض فجميع خطوطها الستة وتدين لها جميع الاشياء بمولدها وهي تتلقى طائعة – تأثيرات السماء فهي ساكنة سكونا تاما صفتها الوداعة والسماحة وتتبع سيدها.

التفسير :- ان السماء والأرض هي أول الأشياء وجودا ومنها تولدت كل الأشياء الأخرى لذا فقد أعطى الصينيون للسماء صفة الذكورة وللأرض صفة الأنوثة، فالقيادة بيد السماء ذات القوة والإيجابية اليانغ والقبول عند الأرض ذات الاستكانة والسلبية. وهكذا يأتي النص التالي باسم الأول الأعظم.

٤- الأول الأعظم : يولد الأول الأعظم بفعل تحركه اليانج فإذا ما بلغ نشاطه منتهاه يركن إلى السكون، وفي خلال فترة سكونه يولد الين فإذا ما بلغ سكونه منتهاه تغد دورة جديدة من النشاط ومن ثمة تتعاقب الحركة

والسكون ويغدو كل منهما منشأ الآخر. وعن طريق تحول اليانغ واتحاده مع ألين تتولد العوامل الخمسة الرئيسية. الماء. النار. الخشب. المعدن. التراب. وبفضل توزيع هذه القوى المادية الخمسة توزيعا متناسقا تسلك الفصول الأربعة سبيلها المعروف وتؤلف العوامل الخمسة نظاما واحدا للين واليانغ، ويؤلف ألين واليانغ (الأول الأعلى) وتكون السماء عنصر التذكير، وتكون الأرض عنصر التأنيث وبوساطة تفاعل هاتين القوتين الماديتين يتم تكاثر آلاف الأشياء المؤلفة وتحولها، وتتكاثر ألوف الأشياء وتتوالد في تحول لا نهائي.

والإنسان وحده يتلقى القوى المادية في احسن حالاتها فهو بذلك اشرف المخلوقات وأذكاها أبرعها، ويتبدى شكله المادي وينتمي روحه الوجدان، ويترتب احتكاكه بالعالم الخارجي واستجابته لتحدياته، استثارة المبادئ الخلقية الخمس الكائنة في طبيعته وهي، الشفقة، العدالة، الذوق، الحكمة، الأيمان الصحيح. وهنا ينطلق صوب الحركة والنشاط، ويميز الخير من الشر والإنسان الحصيف من ينمي هذه الصفات في ذاته في حين ينتهك حدتها الإنسان الخسيس.

التفسير :- لا شك ان صفة الأول الأعظم هي صفة كائن يسبق الوجـود المنظور لانـه خـارج السماء والأرض، بـل عـن حركتـه يتولـد الوجـود كمتحرك وعن سكونه يتولد الوجـود كـساكن علـى ان الملاحـظ هنـا ان عملية التعاقب ليست سببية في الأساس أي ليس الأول يسبب الثاني كما هي الحال في مبدأ العلية المنطقية والوجودية، ومع هذا فان المؤلف الصيني يطلق عليهما معنى التسبيب، ولعله أراد التعاقب كما يظهر كسببية مجازية فقط وإلا فهو تعاقب والتعاقب لا يجعـل الثـاني منـشأ الأول، أمـا كلمـة تحول واتحاد فهو لوصف التفاعل بين العناصر النظرية التنظيمية بين اليانغ والين والذين هما (وعي فكري نظري) ولـيس (وجـود مـادي) فعـن طريق اتحاد اليانغ والين كما يقول الكتاب تتولـد عوامـل ماديـة وجوديـة واقعيـة ملموسـة وحينمـا تتـوزع هـذه الماديـات توزيعـا متناسـقا تكـون الفصول الأربعة. ويبدو ان العوامل الخمسة المذكورة. خشب. مـاء. نـار. معدن. تراب لها نظام واحد يلعب الين واليانغ فيها ...

على ان موقـع الإنـسان هنـا هـو التميـز بـالوعي لاسـتلام هـذه المعـاني والماديات فيكون جسمه المادي وروحه المعنوية أو الوجدانية، ان اسـتجابة الإنسان في احتكاكه بالعالم الخارجي يحصرها الكتاب بخمس أخلاق تظهر

في طبيعته كاستجابة واستشارة نتيجة الاحتكاك، وبفضل هذه الأخلاق الخمسة. الفقه. العدالة. الذوق. الحكمة. الأيمان الصحيح. يستطيع الإنسان ان يفرز الخير من الشر ويميز نفسه بكونه حصيفا نبيلا أو خسيسا بناء عليهما.

٥- الإخلاص : الإخلاص جوهر الحكمة، عظيم هو مبدأ السماء، الباري، منه تستمد جميع الأشياء بداياتها، وهي منبع الإخلاص، ويتغير طريق مبدأ السماء ويتحول لكي يحصل كل شيء على فطرته السليمة، وينال قسمته ونصيبه، ومناط طريق السماء حركة ألين واليانغ المتعاقبة، وما ينبعث عن نهج السماء خير، والحكيم هو الإنسان المخلص.

التفسير :- يقول النص ان ما ينبعث من السماء هو خير وطريق هذا الخير أيضا يخضع لحركة ألين واليانغ وان مبدأ السماء وطريقه يتغير بمقتض طبيعة الأشياء المرسومة في فطرتها وقسمتها ونصيبها أما الإخلاص فهو معنى يوصف به سلوك الإنسان التي هي الحكمة العملية هنا. ان مبدأ السماء هو الذي يعطي للأشياء بداياتها، أما سلوكها اللاحق فتحكم فيه فطرتها. وكأنما يريد النص ان يقول المرك الأول لها لكي تعود فتتبع قانون ألين واليانغ المتعاقبة.

لو القينا نظرة تفسيرية على هذه النصوص ضمن إطار التراث الصيني كله فأننا سنجد ان المعاني تنساب بوضوح شديد يمكننا من التعامل مع هذه النصوص بشكل مرن ودقيق ولنبدأ بمعاني الكلمات.

التغير : ان التغير في الفكر الصيني اخذ من معنى سير الشمس والنجوم، عبور السحاب، تدفق المياه، تعاقب الليل والنهار ويقال ان كونفوشيوس كان يقف ذات يوم إلى جوار النهر جار فهتف قائلا ((كل شيء يتدفق على الدوام ليل نهار كهذا النهر. فالتغير وفقا للمنطق الصيني مبدع جميع الموجودات وهو القوة الغريزية الطامية التي تجدد نفسها على الدوام ولا تتوقف أو تتعطل على الإطلاق، فلو فرض وتعطل التغير فلن يحدث موت لان الموت في الحقيقة مظهر للحياة ومدار ما يحدث وقتذاك أبطال الحياة بمعنى انحرافها، فالسكون ليس نقيض الحركة بل يعتبر السكون والحركة واجهتين للتفسير أما نقيض التغير فهو النكوص ويعبر عنه كتاب الآي جنك بقوله ((نمو ما يجب ان يضمحل وانهيار ما يجب ان يتسلط)) فليس التغير مجرد حركة لان نقيضا في المنطق الصيني حركة بالمثل، والتغير حركة طبيعية لا نهائية، هو تطور لا يبطل تأثيره إطلاقا إلا ان

تحدى الطبيعة، ويتخذ التحول سبيله وفقا لسنة التغير ولا منجاة له من سطوة التغير، كما ان حركة التطور في المنطق الصيني لا تتجه اتجاها أماميا صاعدا بل تتجه اتجاها دائريا شبيها باللولب فهي تؤوب إلى نقطة بدايتها، أشبه بحركة الكواكب حول الشمس وتعاقب الفصول وكون الحركة تؤوب إلى نقطة بدايتها يحفظها من التشتت وهذا ما تتعرض له الحركة ذات البعد الواحد ولا يتم التغير بغتة، ولا تحدث عملياته عشوائيا بل تتبع مسالك راسخة، فالتغيير يسير في مجراه المقرر الذي تتكشف فيه اتجاهات الأحداث فلن يتوقف طلوع الشمس بعد الفجر، والربيع يقدم بعد الشتاء ويتخذ التغير سبيله في الكبير والصغير من الأمور والأشياء ويتبديء في المظاهر الكونية مثلما يظهر في قلوب الناس على السواء. وينتهي كتاب أي جنك إلى اعتبار الإنسان مركز الأحداث، وان الإنسان مدرك للمسؤولية يقف ندا لقوى الكون السماوية والأرضية وهذا هو ما تعنيه فكرة إمكان التأثير في التغير، ولن يتم هذا التأثير إلا بمسايرة تيار التغير لا بمقاومته، فالبذرة تنمو بفضل التغير ولكن في مكنة الإنسان التدخل في عملية التغير عن طريق توليه زراعة البذرة. وليس التغير شركا غدارا لا يدرك بالحواس، بل انه نظام عضوي يتوافق مع طبيعة الإنسان،

ولا تقتصر رسالة الإنسان على التحكم بمصيره والتأثير عليهما تأثيرا جوهريا ولكن في نطاق محدود معين وعلى الإنسان الإلمام بحدوده والتزامها وهذه هي رسالة الكتاب ان الأشياء بفطرتها في تغير مستمر، ويحمل التغير في الكون بين طياته الزيادة والنقصان والقدوم والذهاب، الهدم والبناء ... الخ. فلا نهاية إطلاقا لعملية التغير لان ما يأتي يجب ان يذهب وما يذهب يجب ان يأتي مرة أخرى.

ألين واليانغ : استخدم الصينيون منذ عهد بعيد فكرة ألين واليانغ لتوضيح ظواهر الوجود فالتاويه قد استخدمت الاصطلاحين لشرح مبادئها يقول لاوتزو مؤسسها : ان التاو أي السبيل أو النهج قد انتج الواحد، والواحد انجب الثنائية وتطورت الثنائية إلى التثليث وانبعث عن التثليث الآلاف المؤلفة من الأشياء وتضم الأشياء جميعها بين طياته ألين وتشتمل على اليانغ وبفضل ألين واليانغ يتوافر للأشياء التناسق والانسجام، وتأسيسا على هذا الرأي يرتب كل شيء في الوجود تحت أي من الفصيلتين باعتبار ألين أنثى واليانغ ذكر. ان ثنائية ألين واليانغ لا تعني تلك الثنائية خارج الصين، كالخير والشر، الروح والمادة، لان هذه الثنائيات ينفصل أحدها على الآخر أما في المنطق الصيني فان ألين واليانغ

يكمل أحدهما الآخر وبفضل هذا التكامل يتوافر للكون انسجامه وتناسقه فالشتاء ينتسب إلى فصيلة ين يتحول إلى صيف من فضيلة يانغ. وجميع الأشياء أو ان إبداعها توضع في قائمة اليانغ في حين توضع الأشياء في أوان استجابتها في قائمة ألين ويتيسر لكل شيء ان يكون يانغ وين ومع ان معنى كل منهما مختلف عن الآخر إلا انهما مترابطان ولاغنى (لأحدهما عن الآخر فالشمس تغرب فيطلع القمر ولكل وظيفته واحدة وهي إضاءة الأرض، وإذا وصل شيء حد التمام يكون قد بلغ بالضرورة مكانه السليم الذي يجدر ان يكون فيه أي يكون في بيئته المناسبة. وهناك رأي يتحدث عن طبيعة ألين واليانغ باعتبارهما حالة أثيرية يقول (تونج شونج - شو) [يوجد ألين واليانغ في نطاق الكون في حالة أثيرية، وينغمر جميع الناس فيهما على الدوام مثلما ينغمر السمك في الماء على الدوام، والفارق بينهما و بين الماء ان جيشان الماء منظور في حين ان فوران ألين واليانغ غير منظور على ان وجود الإنسان في الكون مثل ارتباط السمك بالماء، ويوجد هذا الأثير في كل مكان لكن ليست له لزوجة الماء، فالمقارنة بينه وبين الماء كالمقارنة بين الماء والطين وعلى ذلك يبدو ان في الكون عدمية ومع ذلك فثمة هيولى، ان الناس مغمورون على

الدوام في هذه الكتلة الدوامة التي تحملهم قدما في تيار واحد بانتظام أو بغير انتظام)) وهذا الوصف المادي للين واليانغ هو التقريب إلى الذهن ليس إلا، فهذا الفيلسوف يصفهم في موقع أخر على انهما (قوتان متعارضتان تتبعان سير السماء الراسخ ولكنهما لا ينشأن في وقت واحد)، وهذا يعني انه وقتما ينبعث اليانغ يتراجع ألين والعكس بالعكس. ويخلص فلاسفة الصين إلى نتيجة عملية مدارها انه إذا كان كل شيء في الحياة ينقلب إلى نقيضه، إذا ما وصل منتهاه، فعلى الرجل العاقل ان يتخذ اهبته للأحداث التي تغد مع التغير ويحتاط لصروف الزمان.

الإخلاص : قال كونفوشيوس: الإخلاص سبيل السماء، وحيازة الإخلاص سبيل الإنسان ويتيسر لمن يحرز الإخلاص تحقيق ما هو حق دون جهد وان يفهم من غير عناء فكري انه حكيم. والإدراك النابع من الإخلاص مصدره الطبيعة والإدراك النابع عن الإدراك مرجعه التثقيف، وحيث يوجد إخلاص يوجد أدراك وحيث يوجد أدراك يوجد إخلاص، ولا يقدر على تنمية طبيعته تنمية كاملة سوى من يتصف بالإخلاص المطلق. الإخلاص كامل بذاته والتوجيه الذاتي مناط السبيل إليه، الإخلاص بداية الأشياء ونهايتها وينعدم الوجود بانعدامه ولهذا السبب

يعتبر الإنسان الماجد الإخلاص اثمن جميع المعارف المكتسبة وأعظمها قيمة ولا يقتصر الأمر على كون الإخلاص كمال الوجود الذاتي بل يتم بواسطته اكتمال جميع الخلائق. فان استكمل المرء وجوده الذاتي تسامى بشخصه واستطاع دفع بقية الناس إلى التسامي وهنا يبلغ مرتبة العلم، والتسامي والعلم هما الفضيلتان الكائنتان في طبيعة الإنسان وبواسطتهما يتم اتحاد الظاهر والباطن ولذلك فجميع ما يحدث عن طريق الإخلاص مبدأ من الخطأ. ولا يبطل فعل الإخلاص المطلق وهٰذا فهو خالد ويجعله خلوده في غير احتياج لبرهان مما يوسع مداه فيصبح عريضا عميقا ويؤهله عمقه وإتساعه ليصبح قويا حاذقا ويؤهله هذا للتسامي في فيطاول السماء في اتساعها وعمقها وحذقها.

الفطرة البشرية والطبيعة البشرية : يقول منشيوس ((الطبيعة البشرية تتبع الخير مثلما ينشد الماء المستوى الاوطأ)) ويقول ((للناس جميعا شعور أصيل بالعطف وانفعال بالحياء والاشمئزاز وتأثر بالمراعاة والامتثال وحساسية تجاه الصواب والخطأ)) ويقول ((طبيعة الإنسان مزودة بمشاعر تدفعها صوب الخير ان هذه الفضائل لم تكبر في من الخارج أنها جزء من ذاتي الأصيلة. ان الصالح هو الفعل الذي يتطابق تماما مع

الطبيعة البشرية. وصلاح الفطرة البشرية يعني ما يتجانس مع الطبيعة البشرية ان ما وراء الطبيعة عند منشيدس هو حالة تتحد فيها جميع الأشياء وتكون جسما واحدا، وهنا يندمج الفرد في الكون بأسره وتنمحي جميع الفروق بين الذات وعدم الذات، بين الظاهر والباطن ذلك لان روح الكون وروح الفرد كانتا في الأصل شيئا واحدا بيد إنهما انفصلتا، ثم انبعثت من عملية الانفصال عوائق وحواجز، هي الرغبات الإنسانية فلو أمكن الفرد تخطي هذه العوائق فعساه ان يؤوب إلى الوحدانية مع الطبيعة وهو ما يعبر عنه ((التخلص من الرغبات الإنسانية وانصباب قانون السماء دون عائق)) ان انفصالنا عن الكون يفي انتقاء الإخلاص منا .....

التاو :

على الرغم من ان المدرسة التاوية نشأت بعد زمن على وجود الآي جنك إلا ان ها معاني تفسر كثيرا العقلية الصينية وكيفية تفكيرها بالأشياء ومصطلحاتها، وهي كالكونفوشيوسية في تصويرها للعقل والفكر الصيني مع اختلاف طبيعة المدرستين عن بعضهما. فالأول الأعظم الذي يسميه كونفوشيوس والذي هو مصدر كل شيء نراه عند

لاوتزو مؤسس التاوية باسر تاو، فالتاو عند لاوتز هـو مـصدر الكائنـات جميعا وهو الذي يؤسس جوانب الحياة بأسرها سواء كانت بشرية أم غـير بشرية وهو الوحدة الأساسية التي لا تتجـرا والـتي تحـل في نهايـة المطـاف جميع متناقضات الوجود ومفارقاتـه، وفي المجـال البـشري يـصف لاوتـزو الإنسان الكامل (ويطلق عليه الحكيم) بأنه على بصيرة بمبدأ التاو الخفي وانه يتولى ترتيب حياته وتبويب أعماله وفقا لاحكامه وعلى من يرنـو إلى أدراك مبدأ التاو ان يكسر شوكة نفسه ويلتـزم الهـدوء ويـصطنع الـسلبية ويتحرر من الرغبة وينأى بنفسه عن الشحناء. ان مصطلح تـأو مـن أهـم المـصطلحات الـصينية وكانـت تعـني في الأصـل - الطريـق أو الـنهج أو السبيل - وكان اللفظ يحتوي في العصور السابقة لظهـور لاوتـز والتاويـه على مضمون يبتعد شيئا ما عن المضمون المادي كالقول (سبيل الإنـسان) أو طريقه أو نهجه ويقصد به الأخلاقية البشرية والسلوك والحق، اقتصر استخدامه آنذاك على الشؤون البشرية، ولعل لاوتـزو أول مـن اسـتخدم كلمة تأو استخداما ميتا فيزيقيا محصنا فهو الذي جاهر بان الكون انبعـث وفقا لمبدأ شامل سبق وجوده يطلق عليـه تـأو فالاصـطلاح عنـد لاوتـزو يماثل اصطلاح (الكلمة) في الأديان الـسماوية. إذ لاوتـزو يعـرف التـاو

بالشكل التالي ((ثمة شيء لا صورة له إلا انه كامل، قائم قبل ان توجد السموات والأرض، لا صوت له ولا جوهر، موجود لا يتغير، يتخلل كل شيء انه منشأ جميع ما في الكون، لا نعرف اسمه لكن نصطلح عليه بكلمة تأو وكنيته العظيم، يسلك التاو العظيم هذا الطريق أو ذاك، ويدين إليه بوجوده الآلاف المؤلفة، لا حصر لمآثره، هو الرداء الذي يكسو ملايين الأشياء ويرقى بها ومعنى التاو هنا انه ذاتية موجودة قبل ظهور الكون - وهي حقيقة مطلقة لانزاع في شانها عنده وتتألف من جوهر أصيل ويكفل هذه الأصالة وجود كون لانهائي أقامته هذه الحقيقة بنفسها وهي التي تتولى الحفاظ عليه وإذا كان تأو مصدر ملايين الأشياء فلا يمكن كما يقول لاوتزو ان يصبح شيئا كبقية الأشياء، إذ يمكن ان يقال عن الأجسام أنها كائنة لكن التاو ليس مادة ومع ذلك فانه هو الذي بعث الكون المادي إلى الوجود ولهذا السبب يتحدث عن التاو بأنه كائن وغير كائن، فهو غير كائن ان أشير إلى جوهره الذي يخالف جوهر الأشياء جميعا وهو كائن ان أشير إلى فعله وبالتالي يرى لاوتزو ان الكائن واللا كائن قد تفجرىعن التاو فهما بالتالي مظهران له ويستطرد قائلا : ابرز التاو الوحدانية، وأنتجت الوحدانية الثنائية، وينبعث الثالوث عن الثنائية،

ويتفتح الثالوث عن الحشود التي لا حصر لها من الأشياء، فالسماء والأرض وملايين الملايين من الأشياء، تنبعث عن الكائن، والكائن ناتج عن اللا كائن لكن ليس اللا كائن هو الصفر أو العدم ويقول : لا يدرك التاو باللمس، يمتنع عن القياس، ومع ذلك تكمن فيه نماذج الأشياء وأصولها ويضم بين طياته الذاتية والوجود.. أي ان التاو ليس ماديا ليقاس ومع هذا فليس هو لا كائن كالصفر. ويفسر لاوتزو حركة التاو بأنه رجوع وتحول [عندما تصل عملية التقدم هذه اوجها، تحل مرحلة التأخر فينقلب القوي ضعيفا، فإذا بلغت مرحلة التأخر أدنى حدودها اخلت السبيل مرة أخرى لمرحلة من التقدم وبالأحرى، ثمة دورة لا نهائية من التقدم والتأخر.

وأخيرا أضاف فإن ، لاوتزو يصفه التاو بأنه قوة عليا يقول : ثمة شيء لا يعرف ولا يحدد ويتصف بالكمال قائم قبل السموات والأرض، فبأية كيفية هو : ساكن وغير ذي صورة، راسخ بمفرده ويحيط بكل شيء علما، ولا حظر عليه من الاستنفاذ، هو اصل جميع الأشياء، ان التاو في مجال الحياة البشرية يدعو إلى الانصياع لحركة الكون واطراد العمليات الكونية، والسلبية تجاهها، لان حركة المظاهر الكونية في نظام بديع يبلغ ذروة

الكمال، فالفصول الأربعة تتبع نظاما واضحا دون حاجة لنقاش أو لجاج وتسير جميع الظواهر الطبيعية المتعددة وفقا لمبادئ محكمة، والحكيم العظيم من يسعى لفهم أسرار الطبيعة ويعني باستقراء مكوناته - يتأمل الكون. أما الحياة فأنها عندما تقبل فلأن الوقت قد أذن بقدومها وعندما تروح فلنتيجة طبيعية للأحداث، وان تقبل جميع الأشياء التي تحدث باطمئنان وتحمل التبعية الطبيعية للأحداث يكفل الصمود للأسس والألم على السواء وهنا يتحرر المرء من العبودية. وينتهي على حتمية تحول الشيء إلى نقيضه بعد بلوغه منتهى تقدمه أو تأخره حسب الأحوال سلامة مبدأ التزام السكون وانتهاج خطة اللا مبالاة تجاه عالم يفيض بالحركة المستديمة والتغير المستمر. ان هذا المبدأ يعني ان على المرء ان ينسجم مع نواميس الكون الأساسية والحرص على الابتعاد عن التمرد عليها، وتقول التاوية : ان أولئك الذين يدركون أوضاع الحياة لا يسومون إنجاز شيء تعجز الحياة عن إتيانه، ومن يعلم تصاريف القدر لا يتطلع لما فوق متناول المعرفة وتقول : فيما يتصل بالخطأ والصواب أليس الصواب صوابا مطلقا كي لا يمكن اعتبار الخطأ خطأ مطلقا فلنعمل على تنسيق مظاهر الحياة داخل إطار الكون الشامل ولندعها تنطلق في سبيلها.

ان التطابقات بين صفات الطبيعة وأخلاق الإنسان نجدها في التاويه بوضوح شديد فهي تطالب الإنسان بان يتكلم اقل ما يمكن لان هذا أسلوب الطبيعة، فالسماء والأرض تعجزان عن استدامة العاصفة أو الإعصار وان أولئك الذين يعلمون لا يتكلمون والذين يتكلمون لا يعلمون.

أما علاقة التاويه بالآي جنك فيمكن تلخيص من قول لاوتزو [ان من أدرك معنى التغير لم يعد يركز انتباهه على الأشياء الفردية المؤقتة بل عن القانون الأبدي الثابت الذي يعمل في كل تغير وهذا القانون هو التاو انه سكة الأشياء واصل الواحد في الكثرة]، ان أدراك معنى التغير هو الوسيلة إلى الغاية التي هي التحكم الكلي في التغير لكن التحكم الكلي يتم عن طريق التحكم بالأصل والأروقة لا بالفرع والجزء. لذا فان أدراك معنى التغير ينزع إلى عبور الأشياء الفردية المؤقتة والسعي للوصول إلى هذا القانون الأبدي الثابت الذي يعمل في كل تغير، ان امتلاك نوع من العاملية في هذا القانون يؤدي إلى امتلاك نوع من الفاعلية محل كل الأشياء ولايتم ذلك إلا بمعرفة (اصل الأساسي أو البداية لكل الأشياء).

لاشك ان العقلية الغربية هي ما ابعد ما يكون عن نظام الفهم الحدسي اللاعلمي للكون بسبب من انها ترفض التسليم بأي نظرية او قانون لايخضع للتجربة والمختبر ولايتعامل مع الأحصاء والحسابات الكمبيوترية الدقيقة، ولعل اول اشارة للتعامل مع كتاب الأي جنك تعود الى الفيلسوف الالماني ليبنتز ١٦٤٦ - ١٧١٦ حيث يشير كولن ولسن الى انه من اوائل الغربين الذين اعترفوا بوجود منطق داخلي متماسك لهذا الكتاب وانه هو نفسه حاول ان يحقق حلماً غريباً وهو ان يخلق (حساباً كونياً) يمكن من خلاله التعبير عن كل حقائق الفلسفة والرياضيات، حيث لاحظ ليبنتز ان الطريقة التي شيدت بها الاشكال السداسية للاي جنك تشكل في النهاية نسقاً رياضياً ثنائياً او مزدوجاً، اي انه نسق لايستخدم إلا الرقمين واحد واثنين بدلاً من أن يستخدم الارقام من واحد الى عشرة ثم يكررها، والنسق الثاني هو اساس الالات الحاسبة الحديثة والعقول الالكترونية، ويعتقد كولن ولسن ان ليبنتز كان مخطئاً حينما اعتقد ان الملك ون اواخر المعلقين على كتابه وهو (شاو يونج) كان يعرف شيئاً عن النسق الرياضي الثنائي وان غريزته كانت على صواب دقيق حينما رأى ان كتاب (اي جنك) هو ابن عم بعيد لنظامه

الحسابي الكوني الشامل. بل ان كولن ولسن يعتقد ان الأي جنك يلتقي مع النزعة العلمية اكثر من لقاء نظام ليبنتز في الحساب الكوني الشامل معها ويقول[٦٢] ان ليبنتز هو من كان متعارضاً مع النزعة العلمية، ففكرته عن رمزية رياضية تستطيع ان تعبر عن (حقيقة) ليست سوى نوع من السخف، فحتى اللغة العادية - وهي الاكثر مرونة بكثير - تتحطم على صخور التصورات البسيطة التي تتضمن المشاعر، اما كتاب (اي جنك) فهو شبكة نسجت من خيوط اكثر رقة ورهافة ولاشك اننا لو راجعنا فلسفة ليبنتز الذي سبق نيوتن في حساب التفاضل والتكامل والذي حاول ان يبني منطقاً رياضياً يجمع فيه منطق ارسطو وافكار المادية الميكانيكية والذي حاول ان يبحث عن نظام مبني على فكرة المونادات الحية أوالروحية وارجاع كل الموجودات اليه وصولاً الى ان يقيم الكون على تناغم مناسب رياضي، لو راجعنا هذه الفلسفة لوجدنا ان محاولة ليبنتز وجدت لها مصداقية هذا اليوم في مفردات الفيزياء النووية ونظريات السايكو فيزياء اضافة الى الوعي الكوني أو العقل الكوني الذي

([٦٢]) الإنسان وقواه الخفية، ص ٨٢.

يسود الاشياء والعقل بوقت واحد ووحدة الكون وهو ما سنبحثه بفصل لاحق.

أما ستان كوش الباراسيكولوجي المعروف يعقد مقارنة بين اوراق التاروت او اوراق اللعب وبين الأي جنك ويصل الى الاستفهام الكبير عن الشفرة المتكاملة لكل منها ويقول[١٣] (الامر الذي اشك فيه هو هل ان لقارئي اوراق اللعب قدرات خارقة يفرضها على الأوراق او ان الاوراق هي بحد ذاتها لها قدرات خارقة مثلما لكتاب (اي جنك) من قدرات،، واذا كان الأمر كذلك فأننا نفتقر لوجود شفرة كاملة، لذا يجب علينا ان نفسر اوراق اللعب مثلما يفسر لنا اي جنك رموزه) اي ان ستان كوش يعتقد ان مصداقية الأي جنك في نظامه الداخلي وليس في نفس الانسان الخارق فهو مسأ لة موضوعية وليست مسألة ذاتية تخضع لقدرة المتعامل مع الأي جنك او اوراق التاروث اما كولن ولسن فيعقد مقارنة ايضاً بين اوراق اللعب والأي جنك على ضوء علاقة الوعي باللاوعي - التي سنبحثها في مكان آخر - فيقول[١٤] (هناك جانب واحد قد تبدو فيه اوراق التاروث في مستوى ادنى من مستوى كتاب الأي

(١٣) التزامنية ٣٤ انشرة البارلسايكولوجي، ص ٦، ٣٦.

(١٤) الانسان وقواه الخفية الإنسان وقواه الخفية، ١٢٩.

جنك، فقد اوضحت من قبل انه رغم ان كتاب اي جنك هو كتاب لكشف عن الغيب وقراءة الطالع في المستقبل، فأنه يحاول ايضاً ان يرفع العقل الى مستوى اعلى من مستوى طرح الاسئلة عما هو مقدر له، اي انه يحاول ان يجعل العقل نشيطاً مسيطراً على ذاته بدلاً من ان يظل مهموماً في سلبية بما يخبئه له المستقبل وهذا هو ما يبرز الخلاف الاساسي بين طريقة كل من التاروث وكتاب (اي جنك).

ان الشرق - بشكل طبيعي - اكثر تجرداً واكثر فلسفية من الغرب - والعقل الشرقي يفكر بشكل طبيعي - على اساس التعرض للروح والطبيعة والسماء والارض والنار والماء، انه عقل يحلق في المسافات البعيدة، اما العقل الغربي فيعيش في عالم اكثر تجسيداً وتشخيصا مع وجود (مخلص) يعمل كوسيط قائم بين نفسه وبين السماء - ان رموز التاروث اكثر تعقيداً واكثر عنفاً من رموز (اي جنك) وعند الوهلة الاولى تبدو (التاروت) اكثر انشغالاً بالتنبؤ بالكارثة اكثر مما يفعل كتاب (اي جنك) الذي يبدي اهتماماً اكبر بتعليم (الانسان الاسمى) كيف يكون سيداً لمصيره.

ان كولن ولسن يعتقد ان العقلية الغربية هي الـتي اوجـدت اوراق التاروث وتنسجم معها في حين ان (اي جنك) يعكس العقليـة الـشرقية فهو يعتبر ان اوراق التاروث هي المقابل الغربي لكتاب اي جنك، لأنهما يتعاملان بواسطة الرموز المتقابلة.

ولو اردنا ان نبطل هذا الرأي السريع وغير الدقيق لاكتفينـا بـايراد ما يقوله المؤلف او المترجم كلاي وولتهـام في مقدمـة ترجمتـه لكتـاب اي جنك - حيث نرى ان الأي جنك ليس كتـاب تنبـؤ عـادي وانمـا كتـاب اخلاقيات وسلوكيات وصفات للرجل السامي، يقول كـلاي [(١٥)] سـواء استخدمنا هـذا الكتـاب للـتكهن او للدراسـة المبـاديء الـتي يتـضمنها، وسمحنا لأنفسنا أن ننضبط حسب تعليماته فعند ذلك سوف نُغني محتوى حياتنا ونحرّر أنفسنا من القلق ونـصبح عـديمي الأذى أو حتـى متعـاونين بشكل ذكي مع الآخرين وأنيسين لأنفسنا، إ نه مصدر للأنسجام الداخلي ومشاركة القوى العظيمة التي يكـوّن تفاعلـها جميـع العـوالم المرئيـة وغـير المرئية باستثناء - ال تاي جي - او المطلق نفسه، الكتاب يضع امامنا مثالاً رائعاً لل شونتزو او الانسان الكامـل وهوالانـسان الـذي يمتلـك سـيطرة

---

(١٥) اي خبك، ص ٢-٣.

كاملة على نفسه والمعتمد كلياً على ذاته والمتحرر كلياً من البحث عن النفس والقادر على الوقوف بحزم وثبات وسط القوى التي تتقاذف بالرجال الأدنى منه مثل رقاص الساعة رغم دموعهم وصراخهم وهو لايتأثر بالخسارة او الربح وردة فعله فعالة عندما تعود الحاجة الى ذلك ويؤدي طوعاً المهمة الاصعب في الامتناع عن فعل شيء عندما تكون الأمور افضل اذا ما تركت لشأنها، وهو يصلح ما يمكن اصلاحه ويعرف ايضاً كيف يقف جانباً بدون ان يضيّع جهوده في الامور المستحيلة، وهو في وضع جيد للتمتع بالطعام والشراب والنوم والسفر....الخ وعليه فهو قادر على مجابهة الضغوط والالم والخوف والمرض بدون تذمّر اوتأفّف وفي داخله نجد ان العاطفة والصبر وقبول الأمور بصبر جميعا متحدة. وينقل كلاي نص ما كتبه احد اصدقائه الصينيون وهو ينصحه بان الكتاب ليس للتسلية او الاستخفاف شارحاً له طريقة عمله حيث جاء ما يلي [16] [ان اجابات كتاب الأي جنك - احياناً ذات اهمية بالغة تستطيع ان تنقذنا من اضاعة حياتنا سدى وحتى من الموت المبكر أحياناً، ويجب ان يعامل الكتاب بمستوى عمره الطويل وبمستوى كنز الحكمة

---

(16) نفس المصدر، ص ٩.

الموجود فيه وليس هناك رجل حي يستحق هذا التقـدير لأنـه عبـارة عـن مرآة تكهنية تعكس عمليـات تغـيير كونيـة واسـعة وغـير منتهيـة وتلـك السلاسل غير المنتهية من الافعال والتفاعلات التي تعرض وتقسم الاعداد التي لاتحصر من الامور والاشياء التي تخرج من او تنساب الى التـاجي - الواقع الساكن خلف عوالم الشكل والرغبات -وانعدام الشكل وله معرفة البوذا الواسعة ويتحدث الى العالم الانتقالي وكأنه من رحم التغـيير نفـسه - التغير - وهو العامل المستمر الوحيد في وسط التبـديلات والتحـولات غير القابلة للعد للأمور الذهنية المعنوية والمادية والتي تبدو لنا عندما تغلق عين الحكمة كدفق عديم المعنـى وكـون اعـدادها غـير المحـدودة يمكـن ان تنعكس في هذا النطاق الصغير، فسبب ذلك هو كونها جميعها تتقدم وفـق قوانين صلبة وجميعها وجوه لتلـك النقـاوة التامـة والهـدوء الـتي يـسميها البعض (تاي جي) او تاو اويهوتاتا رحم البوذية ومصدر الجميع.

لقد عبر كلاي عن هذه المفاهيم الـصينية بـالمنطق الـصيني القـديم فاشار الى ان كل مايرى بالحواس هو عرضة للتغيير في الحركة اذ أن الغـير متغير الـذي يـسميه المـسيحيون رأس الـرب او الـرب غـير المـدرك حيـاً باستثناء مع الذين يجرّبون حالة التوحد مع الرب الاستنادة العليا التشرب

بالتاو. وعمل كتاب التغيير - الأي جنك - تفسير وترجمة الحلقات المتداخلة المختلفة للتغيير والتي يمكن استنتاج تطور التحولات الفردية من حيث يتلقى السائل سنداً صلباً يساعده في ان لاينحرف في التيار كورقة شجر وسط مياه غاضبة، ورغم أننا لانستطيع ان نرفع يدنا ونستخدم كلمات معينة توقف الرياح والامواج إلا اننا نستطيع ان نتعلم كيفية الأبحار في التيارات الخطرة وذلك بأن نظبط انفسنا مسلكياً بشكل متناغم مع تطور التحول القائم - وعليه نستطيع ان نجتاز العواصف المتكررة بنجاح في هذه الحياة وفي جميع الحيوات القادمة الى مجيء ذلك الوقت البعيد والذي بعد ان نصل الى قلب التغيير ندخل السكون الثابت الستمر والذي هو رحم تاج الوجود. وهكذا نرى ان هذا الكتاب ليس كتاب استخارة فحسب ولاهو كتاب اخلافيات فحسب ولاهو كتاب قوانين الوجود فحسب - بل هو اضافة الى كل هذا كتاب الانسجام والتناغم الحياتي للانسان مع الطبيعة وقوانينها ومجرياتها وتوظيف هذه المعرفة بهذه القوانين لخدمة حياة الانسان نفسه عبر التأثير المناسب والمتاح والممكن فيها وصولاً الى السعادة الحقة والاخلاق الحقة والسلوك السليم، فأي كتاب من كتب التنبؤ الاخرى تعطينا هذه الخيارات؟.

على اننا قبل أن نغادر اراء المؤلف والمترجم كلاي يجب أن نشير إلى مفردتين خاصتين به ذكرهما في مقدمة كتابه، الاولى هو رأيه في طريقة فهم كونفوشيوس للكتاب وهو يدرك خطورة ما يقول حيث يذكر [17]] والان ساطرح فكرة قد يجلها بعض اساتذتي واصدقائي من الصينين مروعة وناجمة عن جهل وعدم دراية، ففي رأي أن كونفوشيوس لم يتفهم كلياً كتاب التغيير - الأي جنك - ولكن إذا اخذنا بنظر الاعتبار أن النسخة الحالية من هذا الكتاب يعود نصف حجمها إليه أو لحواريية المقربين وبأنه يعتبر حكيماً ذا منزلة رفيعة جداً فإن مثل هذا الشك يعتبر كفراً بشكل من الاشكال ومع ذلك ارى كونفوشيوس كرجل يقف بين نوعين مختلفين من البشر - اناس في تلك الايام من اتباع -زن - أو تاويين أو صوفيين أو كهنة مسيحين، هؤلاء الفضيلة بالنسبة لهم اكبر من القبول بقوانين مفيدة تخص المسلك ولكنها عندهم تكييف كامل مع ما يمليه المكمن الداخلي لكيان اعلى من النفس.

والنوع الثاني من الناس يشبهون الناس الاعتياديين من مسيحين وشيوعيين وغيرهم من اصحاب السلطة والذين يمتلكون نظرة اخلاقية

---

(17) نفس المصدر، ص ٢٣.

صارمة تقضي الى ان بعض الامور جيدة وحسنة والبعض الاخر شرير وسيء ومن ذلك ينتج أننا عوضنا عن السماح لمكنوننا الداخلي ان يقودنا، يجب ان نلتصق بمجموعة قوانين موضوعة من قبل الرب او من قبل رجال اكثر حكمة منا بدون الاخذ بنظر الاعتبار الظروف حولنا ومتطلباتها واذا كنت محقاً في تصنيفي هذا لكونفوشيوس- وانا اسند رأيي الى ماقرأته من اعمال كونفوشيوس فربما ان التعليق على النص ليس عميقاً بما فيه الكفاية لينصف النص نفسه، وفي هذه الحالة فأن كلمه (ته) يجب ان يفهم معناها بشكل اعمق من الفضيلة الاخلاقية والرجل الافضل او الاكحل - وهو المثال الذي نحن جميعاً مدعوون الى التشبه به - يجب ان نعجب به ليس من اجل قيمته الاخلاقية المتزمته وشعوره العميق بالمسؤلية فحسب ولكن ايضاً ما يمكن ان نسميه بتوافق - زن - مع الدوافع الداخلية التي تبرز عندما تغنى العواطف والفكر يسكن، وانا لا اقترح هنا ان نهمل تعليق كونفوشيوس في تفسيرنا لأجوبة كتاب التغيير ولكني اقول انه ربما من الاكثر حكمة ان نعطي وزناً اكبر للنص من التعليق، ويجب ان نحذر من اعتبار النص حاوياً على خصال تاوية او كونفوشيوس منفصلة فهذا الكتاب مؤلف من قبل رجال يملكون نظرة

حقيقية الى عمل القوانين الكونية والذين كانوا في غاية القرب من الامساك بوجه الحقيقة.

اما الراي الثاني الذي يتحدث عنه كلاي فهو في تعليقه على تفسير يونغ للكتاب وعدم فهمه لهذا التعليق حيث يقول (عالم النفس الشهير يونغ تحدى سخرية زملائه العلماء بكتاب التغيير وذلك عبراعلانه لأيمانه بتكهنات اي جنك،وقد ذهب أبعد من ذلك في محاولة لان يبين صحتها، ونقاشه على حد ما فهمته هو ان كل ما يحدث في دقيقة معينة مرتبط بحالة الكون كله انذاك، وعليه حتى لو تمّ استخدام اسلوب رمي القطعة النقدية بغية تقرير أحد امرين، فليس هناك شك حول النتيجة اذ ان كيفية سقوط القطعة النقدية سوف يكون محكوماً من قبل الحالة السائدة، وفي هذا المضمار ايضاً نجده يستخدم جملة (اكتشاف اللاوعي) ويبدو انه يعتقد ان اسلوب عمل كتاب التغيير هو سحب ما هو موجود في اللاوعي الى سطح اذهاننا، كل ما هو ضروري لتفهم صحيح للمشكلة الموجودة حلولها.

ويجب ان اعترف بانه بالرغم من اعجابي بعالم النفس يونغ لا استطيع ان اقبل هذا التفسير، وبما لاني لا افهمه حقيقة وما يبدو لي غير

مقنع في عملية استشارة قطعة نقدية هو انه في حين ان كـل شـيء يقـع في لحظة معينة مـرتبط في لحظـة معينـة مـرتبط وبـشكل وثيـق بحالـة الكـون السائدة، الا ان كتاب التغيير يعطـي اجوبـة متـساوية مختلفـة علـى جميـع الاسئلة بغض النظر عن زمن طرح السؤال، وعليه اذا سألت مـثلاً كيـف ستكون نيجيريا في الاعوام ١٩٧٠-١٩٨٠ فان جواب تكهني صحيح لن يـتم اذا مـا طرحنـا الـسؤال في الـساعة العاشـرة صـباحاً مـن يـوم ٢٤/ ١٢/ ١٩٦٣ او الساعة السابعة مساءاً من يـوم ١٧ / ١/ ١٩٦٤ واذا كان البروفسور يونغ لا يزال على قيد الحيـاة، وربمـا كـان باسـتطاعته ان يساعدني في هذه النقطة، وكما هو الحال لن نعرف ابداً وعلى اية حـال : ان المدهش هـو ان رجـلاً عظيمـاً مؤمنـاً بالاسـلوب العلمـي في البحـث والتقصي اعترف بصراحة واعلن عن اعتقـاده بقـوى مثـل هـذا الكتـاب التكهنية وشجاعته العلمية تم الكشف عنها باستعداده لتشويه سمعته بـين زملائه العلماءعوضاً عن كبت ما بدا له انه الحقيقة ولحن سنفرض لـرأي يونغ بالتفصيل.

يونغ وتزامنية الآي جنك :-

لا شك ان مصداقية الآي جنك تعتمد على احداثية عجائبيـة اولى تثير الاستغراب الشديد وتطرح امام كل الشكوكيين اسئلة عليهم الاجابة عنها ضمن المعطيات العلميـة او العقليـة الـتي يؤمنـون بهـا ولا يؤمنـون بالآي جنك، هذه الاحداثية هي في كيفية تحديد الآي جنك لاجابته علـى موضوع معين يسأل عنه مـن اي مستـشيراً او مـستخيراً؟ فكيـف يـتم أن يكون القاء النقود ومثلاً - والتي هي عملية عشوائية في المنظور العلمي أو تحكمهـا قـوانين الـصدفة الاحتماليـة - يـاتي محـدّداً للـشكل الـسداسي المناسب لموضوع السؤال؟.

فان كان السؤال عـن الحالـة الزوجيـة او العائليـة تحـددت ارقـام النقود بالالقاء العشوائي بحيث يكون الشكل السداسي له علاقة واحيانـاً علاقة مباشرة جداً بموضوع الزواج والعائلة وما يتعلـق بهـا امـا ان كـان السؤال عن قضية عسكرية او حربية فتقع النقود العشوائية لتحدد الشكل السداسي المتعلـق بالقـضايا العـسكرية او الحربيـة؟، ان هـذه الاحتماليـة للصدفة تصبح خرافية وبعيدة جـداً جـداً اذا مـا عاملناهـا علـى النـسب المئوية لمصداقيتها، كيف يمكن ان تحدد النقـود الثلاثـة باوجههـا المختلفـة احتمالاً واحداً لا غير من بين الاحتمالات المفتوحة؟ ولما كـان الموضـوع

يتعلق بمعاني انسانية حية ومشكلات واقعية مختلفة اختلافاً بيناً كبيراً فكيف تستطيع النقود الجامدة الصامتة ان تحدد اجابات تتناسب وهذه المسائل الحيةوالمشكلات الواقعية المختلفة؟

لقد تحدث يونغ هذا المعنى عن وحدة الكون وسياقاته وترتيبه في لحظة معينة وقال أن الكون يكون في تلك اللحظة التي نلقي فيها النقود منظماً بشكل يجعل النقود العمياء تتكلم بفصاحة الإنسان فتأتي النقود وكانها حركة كونية نظامية أو متسلسلة بشكل ما مع وقت طرح السؤال ومضمونه؟ فاذا ما ربطنا مفردة اللاشعور الجمعي الذي هو نظام المعرفة المطلقة الموجودة لدى كل الكائنات مهما كانت درجتها التطورية وسواء كانت مادية او حية فان الكون او لاشعور الكون يتحدث الى سؤال الانسان عبر لا شعوره والمستشار من قبل هذه العملية - القاء النقود.

ان اهم مفردة نصل اليها ونحن في خط البداية انه ليس ثمة تفسيراً سببياً علمياً يمكن من خلاله فهم عملية القاء النقود واشكال الأي جنك السداسية، فليس هناك سببا و نتيجة باي مفهوم علمي سواء كان تجريبياً او عقلياً فاذا ثبت فعلاً - وهو ثابت - ان هناك اقتران بين السؤال والجواب وعملية القاء النقود والاشكال السداسية فان هذا يعني ان هذه

الاحداثيات تزامنية اي خارج اطار السببية وكأنما هناك قانونان يحكمان العالم كما يقول شوبنهور، قانون السببية العلمية وقانون غير موضوعي وغير سببي يقول شوبنهور[18] بأن الكون يحكمه قانونان الاول هو السببية المادية اما الحاكم الثاني فهو وجود ميتافيزيقي نظام غيبي او وعي كوني لذلك فكل الحوادث في حياة الانسان لابد ان تقع في احد نوعين من الاتصال، اما اتصال سببي طبيعي او اتصال ذاتي يتعلق بالشخص الذي حدث له الحادث ويقول ايضاً[19] المصادفة هي الظهور المتزامن لاحداث غير مرتبطة سببيا... اذا حاولنا تصوير كل سلسلة سببية تتقدم في الزمن كخط الزوال على الكرة الارضية فان بامكاننا ان نمثل الاحداث المتزامنة بخطوط العرض الدائرية، استناداً الى ذلك فان كل الاحداث في حياة الانسان ربما تنحدر من نوعين رئيسيين من الارتباطات اولهما الارتباط السببي والموضوعي للعملية الطبيعية وثانيهما الارتباط غير الموضوعي الذي لايوجد إلا بالعلاقة مع الفرد الذي يجرب هذا النوع من الارتباط الذي يتسم باللاموضوعية كما هو الحال مع احلامه التي يكون

(18) الحلقة السادسة، ص ١٦٤.

(19) جذور المصادفة، ص ٨٦ – ٨٧.

من الضروري تقرير محتواها مثلما تقرر حبكة الشاعر المشاهد في المسرحية.

ان هذين النوعين من الارتباطات يوجدان في وقت واحد وان الحدث الشبيه بنفسه على رغم كونه صلة وصل بين سلسلتين مختلفتين تماما، ينطبق مكاناً على كليهما بحيث يتلاءم مصير أحد الشخصين وعلى نحو الثابت مع مصير الأخرين ويبقى كل منهما بطل الدراما الخاصة به، بينما يظهر في الوقت ذاته دراما اخرى غريبة عنه... ولعل هذا التصور التزامني للاحداث هو الذي قاد برود للقول[20] كل شخص بأمكانه في كل لحظة تذكر كل ما سبق وجرى له وادراك ماهو جار في الكون في تلك اللحظة. ان وظيفة الدماغ والجهاز العصبي هي حمايتنا من الارتباك والغرق في بحر المعلومات التي لافائدة لنا منها بأقامة حاجز دون ما كان لابد لنا لولاه من ادراكه وتذكره في أي لحظة، والسماح فقط للكمية المختارة التي قد تكون مفيدة لنا علمياً.

فكيف تحدث يونغ عن التزامنية باعتبارها نظرية لاسببية تفسر نظام العلاقات المتداخلة بين اللاشعور الكوني واللاشعور الجماعي

([20]) جذور المصادفة، ص ٨٦ -٨٧.

ولاشعور الانسان الفرد الذي يعطينا الاجابات المناسبة عن الاسئلة التي يطرحها السائل على الأي جنك فيتحرك بهذه التزامنية اللاسببية للوصول الى هذا الاقتران في المعنى بين القاء النقود العشوائي -باسم العلم - وبين الشكل السداسي المناسب له؟ لقد بدأ يونغ في بحثه عن اصل التزامنية عبر عمل احصائي اولي حيث اراد ان يجد هل هناك ترابطات مثلاً بين حركة التبخير وحياة الاشخاص، فمما يذكره ريجارد كيفنديش[21]في موسوعة الظواهر المبهمة التي نشرت تحت اشراف (جي بي راين) عام ١٩٧٤ عما سماه الترتيب الزمني للاحداث والتي تعني فكرتها انها تستخدم لربط سلسلة من الاحداث التي تبدو مترابطة ولكن ليس هناك دليل كافٍ بشأنها ليتسنى وضعها في علاقة السبب والنتيجة ويذكر ان يونغ نشر عرضه الخاص للترتيب الزمني للاحداث في سنة ١٩٥٢ حيث ارتكز في حجته على مادة مشتقة من علم التبخير، حيث استخدم رزمة مكونة من ١٨٠ من خرائط البروج السماوية وهي عبارة عن رسوم كان المنجمون يستخدمونها لكشف الطالع وكانت هذه الخرائط تعود الى ١٨٠ زوجاً، وكانت قد جمعت قبل ذلك ببضع سنوات

([21]) الحلقة السابقة، ص ١٦٥.

لاغراض تنجيمية، ومن دراسته خرائط البروج كان يونغ مقتنعاً انه كانت هناك روابط محددة بين العلاقات المتبادلة التنجيمية التقليدية وبين حياة الاشخاص الذي كان يدرس ارتكاساتهم واستجاباتهم أما ستان كوش في كتابه عن (اللاعتيادي) فهو يتحدث فيه عن المصادفة والتزامن عند يونغ فيقول[٢٢]بان يونغ يعتبر فكرة المصادفة ذات المعنى تطبق على الخوارق والباراسيكولوجية وترتفع الى مكانة النظرية العامة للخوارق، ويشرح فكرة يونغ بقوله بان يونغ يعتقد باننا في حاجة الى ثلاثة مستويات للتفسير من اجل جمع الاحداث، اولاً لدينا مصادفات ذات معنى وهي تاتي من ضربات الحظ على سبيل المثال قد يحضر شخص او اثنان او اكثر بالصدفة وكلهم يشتركون بأسم واحد أما اذا حدث العكس فهذا يعني وجود قوة طبيعية دون التقاء الاشخاص الذين يحملون اسماً واحداً في طريق واحد ولما كانت هذه القوة غير موجودة لذا يحدث مصادفة ان يلتقوا.

اما التفسير الاخر فهو التفسير السببي العلمي المعروف بعلاقة السبب والنتيجة ومبدأ السببية هوالذي يدعم سلسلة الاحداث اللانهائية

(٢٢) موسوعة الظاهر، نشرة البارسايكولوجي ، ص ٨١، ــ ٧.

وانسياب الاحداث التي في النتيجة تشكل العالم المرئي فسحب مقبض البندقية هو الذي يؤدي الى اطلاق النار فيموت الرجل كنتيجة لذلك، أما الطبقة الثالثة من الاحداث فهي ليست كلياً مصادفة ولاكونها مرتبطة بمبدأ السببية وهي : ارتباط احداث يمكن ان تكون في ظروف معينة غير سببية وتحتاج الى مبدأ آخر لتفسيرها.

ويذكر ستان كوش انه هو وارثر كوستلر وافقوا على فكرة هذه المبادئ التفسيرية الثلاثة علماً ان العلم التجريبي لايعترف الابالمصادفة او السببية فقط. ان الكلمة الاعتيادية للتزامن عندما تطبق على حدثين يقعان في زمن واحد. وعلى الرغم من بعض الملاحظات السلبية التي ياخذها ستان كوش على تزامنية يونغ وخاصة في محاولته ارجاع المعاني الناتجة عن التزامنيات الى القاءات العقل الانساني بناء على نظرية علم نفس الجشتات والتي تقول بان المعاني هي توجه قصدي للفكر باتجاه معنى ما، الا انه حينما يصل الى كتاب الأي جنك واحداثيات التزامنية او الجشتلطية نراه يقف عاجزاً عن اصدار حكم نهائي بصدده خاصة وانه قد جربه كما يذكر فحصل على نتائج مذهلة يقول كوش [يجب ان اذكر انني لاازال متردداً في وضع اقتراح نهائي لشيء واحد معين وهو وجود

الكتاب الصيني (اي جنـك) كتـاب التغـير ويبـدو ان مؤلـف الكتـاب المشهور قد نجح بشكل مافي تعريف الجشتلطية وبشكل خـاص موضـوع الكون كلي الاحداث ويبدو على السواء، ان هذه الجشتلتات تمتـد الى مـا ندعيه بالمستقبل، ولانني ولمدة سنين طويلـة اسـتخدمت كتـاب اي جنـك لمعرفة المستقبل وحصلت على نتائج مذهلة في الدقة.

اما امر ارثر كوستلر فهو ايضاً له وجهة نظر فيما كتبـه يونـغ عـن التزامنية يشبه رأي ستان كوش وهو يقـارن بـين تزامنيـة يونـغ وتسلـسل كامرر الذي درس عدة سنوات المصادفات واوجد لها افتراض يقـول بـان لهـا سـيافات متسلـسل تنظيميـة معينـة خـارج الـسببية، وهـو يـرى ان المصادفات تميل الى الحدوث على شكل مسلـسل فللمقـامرين مـثلا ايـام محظوظة او بالعكس وقد عرف كامرر في كتابه قانون السلسة هذه السلسة بقوله [إنها تكرار قانوني لنفس الأشياء او الأحـداث أو مـا يـشابهها اي تكرار او تجميع الاشـياء او الاحـداث في زمـن او فـضاء لا تـرتبط فيهـا الاعـضاء المنفـردة هـي تسلـسل بـنفس الـسبب الفاعـل وهـو يعتقـد ان المصادفات عند حدوثها منفردة او على شكل مسلسل عبارة عـن مظـاهر للمبـدأ الكـوني في الطبيعـة الـذي يعمـل بـشكل مـستقل عـن الـسببية

الفيزياوية وهو يرى أن قوانين التسلس تضاهي في اهميتها القوانين الفيزياوية على رغم أنها لا تزال مجهولة اضف الى ذلك إن المصادفات الانفرادية اشبه ما تكون بقبب جليدية تجذب اليها الأنظار لأننا نميل ضمن اساليبنا التقليدية الى تجاهل مظاهر التسلسل كلية الوجود اي أنها موجودة في كل مكان وفي جميع الأوقات. إن تسلس كامرر جمع كل الامكانات للمصادفة فقد أجرى دراسات لتزامنات غير سببية تتعلق بالارقام والأسماء والاوضاع وغيرها، ومن هنا توصل الى أن تكرار البيانات المماثلة او المتطابقة ضمن مناطق محدودة للمكان او الزمان حقيقة تجريبية لابد من الاعتراف بها وأن من غير الممكن تفسيرها بالمصادفة او بالاحرى بالشيء الذي يعطي للمصادفة هذا النفوذ الى الحد الذي تضمحل فيه فكرة المصادفة ذاتها ويخلص كامرر الى أن هناك مبدأ لا سببياً فعالا في الكون يتعايش مع المبدأ السببي ويميل للاتحاد به ويخلص أيضا الى أن التسلسل حاضر الوجود في كل مكان مستمر في الحياة والطبيعة والكون كما آمن بأنه بمثابة الحبل السري الذي يربط الأفكار والاحاسيس والعولم والفنون برحم الكون الذي ينفخ فيه الحياة.

لقد وصف انشتاين كتاب كامرر بقوله "انه اصيل وليس فيه ما ينافي العقل على الأطلاق".

ولا شك ان كتاب الآي جنك يقوم أساسا كما رأينا على فكرة التعاقب كفكرة مطلقة تحكم كل حيثيات وتغيرات وحركات الكون من السماء الى الأرض والى الجزيئات الصغيرة وحتى الحياة النفسية للإنسان وبهذا تكون تسلسلية قد شرحت وفسرت بالارقام والاحصاء والبيانات الواقعية والميدانية ماتحدث عنه الأي جنك قبل خمسة آلاف سنة.

إن مبدأ السببية الذي يحكم الكون منذ نيوتن وحتى آنشتاين بدا يفقد سيطرته لا على المستوى الإحصائي فقط بل عبر الفيزياء نفسها التي أعطته هذه القوة للحكم منذ ذلك الحين والذي يطلع على فيزياء الجسيمات الدقيقة يجد مصداقية هذا القول الحدسي اصبح معترفا به فمبدأ الاستبعاد لباولي يوصف بانه عامل لا هو سببي ولا هو فيزيائي ومع ذلك فهو يعمل في الطبيعة.

إن يونغ يعرف التزامن بأنه الظهور المتزامن لحدثين كاملين من حيث المعنى لكنهما لا يرتبطان سببيا او مصادفة زمنية لحدثين أو أكثر يحملان نفس المعنى أو معنى مشابها لكنهما غير مرتبطين سببيا وهي

تظاهي السببية في كونها مبدأ توضيحيا وهو يشبه تعريف كامرر للتسلسل الى أن يونغ يربط تزامنيته باللاشعور الـذي يعمـل في رأيـه خـارج الوقـع الفيزياوي المعروف للزمـان والمكـان فالمستقبل في التزامنيـة يعمـل كأنـه موجود في الحاضر، يقول يونغ [إن التزامن ظاهرة تبلوا مرتبطة اساسا في الحالات النفسية اي بعمليات تحدث في اللاوعي ولما كان هناك ما يـسميه يونغ (اللاوعـي الجمـاعي) الـذاي يـشترك فيـه كـل أعـضاء الجـنس او السلالة فالعوامل الحاسمة في اللاوعي الجمـاعي هـي النمـاذج الاصـلية التـي تشكل هيكلها وهي الذكريات المستخلصة للعينات الانـسانية كمـا أنها تقوم بتوفير نماذج سلوكية لكل البشر في مواقـف معينـة، إنهـا اشـبه بالطراز لدى كل البشر وفي مجال آخر يقول يونغ [إن الاحداث التزامنيـة تقوم على الظهور التزامني لحالتين نفيستين مختلفتين إحداهما هـي الحالـة الطبيعية المحتملة (اي التي يتم توضـيحها سـببيا) والأخـرى هـي التجربـة الحرجة اي التي لا يمكن استخراجها سببيا من الاولى.

واذا كان يونغ قد توقـف عنـد حـدود معينـة في طرحـه للتزامنيـة وخاصة علاقتها بـالاي جنـك وعملـه بنظـام لاهـو مـبني علـى الـسببية الفيزياوية المعروفة ولا هـو بالـصدفة الـتي لايمكـن تحقيقهـا ضـمن نظـام

معروف وانما بتزامينـة محـددة، الا أن اليـونفيين والبـاحثين بعـده حـاولوا دراسة هذا المفهوم على المستوى الفيزياوي والكوني والاحيـائي وصـول الى التطابقات التي لم يبحثها يونغ والـتي وصـفها العلـم الحـديث بتقدمـه اليوم في مضماره فماذا قال هؤلاء؟

لعل فكرة وحدة الكـون الفيزياويـة كتركيـب وكنظـام وهـي الـتي قادت يونغ وخلفاؤه للحديث عن وحدة الانـسان مـع الطبيعـة والكـون وهـي الـتي جعلـت يونـغ يفـترض وجـود (نمـاذج اصـيلة) عـبر عنهـا اللاشعور الجمعي من خـلال الاحـلام والاسـاطير والطقـوس الـسحرية فهذا الكاتب الفرنسي هيوبرت ريفز يكتب فصلاً في كتاب التزامنية تحـت عنوان دخول عابر للعالم اللاسببي يشرح هذه المسألة فيقول[٢٣] فمن حالة الكواركات (الجسيمات البدائية) وصلنا الى حالة النويـات ومـن ثـم الى الذرات فالجزيئات الاكثر تعقيداً – ومن ثم الى الخلايا فمختلف الاعضاء الى ان نصل الى الكائن البـشري، فـالوعي بالنـسبة لمعرفتنـا هـو الخاصـية النهائية التي تنبع من المادة التي تتشكل، ووفق هذا المنظار سـتكون الحالـة

---

(٢٣) التزامنية

اللاسببية التي اكتشفت في الظواهر الموصوفة انفاً هـي تلـك الـتي تـدخل ضمن اطارها مسألة (الحس) او (الغاية) في الطبيعـة – ووفـق هـذا المفهوم اللاذهني فأن وعي الانسان ينتمي الى الكون كما لو كـان مكتوبـاً في تطوره.

ان يونغ وبـاولي بعـد نقـاش طويـل علـى الاساسـيات الـثلاث الكبرى للفيزياء التقليدية - قـوانين حفـظ الطاقـة - اتـصالية الزمـان - المكان – السببية تولاً الى اضافة كياناً رابعاً اطلق عليه (التزامنية)، وارادا بها ان يضيفان الى وجود الحوادث التي لايمكـن للمـرء ان يفّـسره خـلال لعبة الاسباب والنتائج من جهة، والتي تمتلك من جهـة اخـرى (معنـى) ليدركه المراقب. ولما كانت الفيزياء قـد توصـلت الى عـدم معرفـة وجـود اسباب تحدد ظـاهرة النـشاط الاشـعاعي - لاسـبب النـشاط الـذي هـو الشحنة الكهربائية المفرضـة ولكـن الـسبب الـذي يمكنـه تحديـد لحظـة - انفجار الذرة – كما ان الفيزياء (لازالت حائرة امام ما طرحتـه ميكانيكـا الكم بما يسمى تنافض اينشتاين رمود لكي _ روزين _ والـذي يتحـدث عن سلوك الذرات المتوافق فيما اذا افترقا كشعاعين منفصلين بعد اتحادها واستجابة الشعاع الاول لمتغيرات يخضع لهـا الـشعاع الثـاني رغـم بعـد

المسافة بينهما، كما ان الفيزياء الفلكية توصلت الى وحدة درجة حرارة الذرات عبر الوميض المتحجر المنبثق عن الانفجار الكوني الاولى (بك بن) الذي صعد قبل خمس عشر مليار سنة، كل هذا وغيرها قادت الفيزياء الى الحديث عن عامل لاسبي في الفيزياء والتزامنية هي هذه التسمية التي اطلقت على هذا العامل اللاسبي.

لقد اقتنع بولي الحائز على جائزة نوبل بالفيزياء انه من الممكن ان يشرح العلم ذاته من خلال اسقاطات اللاوعي كما ان يونغ اقتنع ان أي فلسفة ماهي افق لعلم النفس من خلال الايعاز الذي يحدثه منها فهناك اتفاق على القناعة بانه من الممكن القفز من المجال النفسي الى مجال الوجود ومن علم النفس الى الانطولوجيا فكيف تم ذالك؟

أن البعد الاخر لدى يونغ في تزامنيته يظهر من خلال اعتبار كلية الكون كل لايتجزأ وعلى نحو ما (اعلى) وفي الوقت ذاته (داخل) لانبساطه الخاص، وبهذا فلا يمكن أن نتحاش.

مراعاة ان الانسان يشكل جزء منه بضمنها نفسيته بطبيعة الحال، وبهذا فان اللاشعور هو احد مكونات هذا الكون إذن يجب ان يبنى بذات الطريقة التي هو عليه، لقد توصلت الفيزياء الفلكية الى ان الكون

هو كل واحد مركزه في كل مكان ولايوجـد محـيط في أي مكـان ان هـذه الفرضية سـتقود الى فرضـيات ثانويـة تنطـوي علـى تجـانس الظـواهر أو قوانين الطبيعة وذلك دون اللجوء على المستوى الميتـافيزيقي إلى مفـاهيم طالما أن السببية الفيزياوية تكشف عن تتابع زمني فإن ذلـك يتطلـب عـن العكس مفهوماً جزئياً لتفسير الكل الـذي ولدتـه ان كليـة الوجـود تحـل تناقض انشتاين لاودين بود ولكن، المعروفة فليس هناك تبادل معلومـات بين الجسيمات وانما هناك نظام يشمله كله، وهو هذا المفهوم الكلي لتبادل التأثير الموحد ان يونغ يفترض وجود معرفة مطلقة في كل جزئيات الكون يطلق عليها اللاشعور _ المعرفة المطلقة _ او سحابة المعرفـة ويعلـق احـد اليونغيين على هذا بقوله (ان اللاشعور يمثل معرفـة الكـون لنفـسه ربمـا لايمكن التعرف عليه بهذا النوع من المعرفة اللازمة اللاواعية حتمـاً، لهـذه المعرفة (العمياء) للمادة التي تفرضها فكـرة كليـة الوجـود والـتي يطلـق عليها يونغ (المعرفة المطلقة)، ويضيف اذا ماصح ان الكون كل لايتجزء وان هذا الكل يولد تاريخاً معاشاً، واذا ماصح ان الكون هو في ذاته كمـي ونسبي للاّتحديد ينشيء حتمية اللاحتمية.

ويشير الى امكانية رد ظهور المعنى في العالم من ناحية ما الى (معنى للعالم) الذي يظهر في لعبة القانون والصدفة، ان هناك سببية ولاسببية كنظام مبدع هو الوسيط لكلية وجود الكون عندما عرض يونغ فكرة المعرفة المطلقة فإنه استدل بشكل واضح على فلسفة لبينتر، وعندما يتفحص اللاوائل حول مفهوم التزامنية فإنه يقدم لبينتر بكل وضوح ـ كما ان اعتباراته حول الاعداد واهتمامه بطريقة الاي جنك كنموذج عملياً بقي لبعض ظواهر التزامنية والمفهوم حول هذه الاخيرة كظهور عددي (للعالم الموحد) كلها ترجعنا الى تقويمات ليبنتر هذا النص الصيني.

إن الصورة التي ترسمها التزامنية للمعرفة المطلقة الكامنة في اللاشعور الكوني والجمعي والفردي تظهر لنا كما يلي : إن الانفجار الكوني الكبير يحقق (الواقع الفيزياوي الموضوعي) ويجعل الواقع النفسي الموضوعي كامناً مكبوتاً - لكن هذا الواقع الاخير رغم انه كامن لاشعوري فهو ليس غائب على الأطلاق عن (الانفجار الكوني الكبير) وليس فقط لم يكن غائباً بل يمكننا ان نكون واثقين انه بدون هذا الواقع النفسي الموضوعي لايعي الواقع الفيزياوي الموضوعي تحقيق نفسه، مع

ذلك فجسيم او نواة الهيدروجين او الهليوم تحتوي على قدر من المعلومات (اكتساب حراري) إذن فالواقع النفسي الموضوعي المعلوماتي ويتابع تحقيق ذاته في بنيات مادية تتعقد اكثر فأكثر (قوانين الفيزياء العامة) لهذا فهو لن يستنقذ نفسه، وسيستمر الواقع النفسي الموضوعي في ان يشغل ما نطلق عليه العالم الاخر : اللاسببي - المكاني - الزماني، عالم الدلالة والمماثلة والمعنى والقيمة... إذ هذا الواقع النفسي الموضوعي مازال بالنسبة لنا عصيّ على الفهم وغير منظور ويتعذر على الوصف في جزئه الاكبر رغم انه متحقق في تركيباتنا الفيزياوية البيولوجية، على ان القفزة النوعية لتحققها في الواقع الفيزياوي تحدث مع ظهور الحياة البيولوجية على كوكبنا...

إذن فالطبيعة والنفسية هما في ترابط دائم، لكنه ترابط لاسببي فهو في ترابط الاحاسيس وليس في ترابط السبب والنتيجة وعندما تتحقق النفسية تاخذ الطبيعة في البيولوجيا شكل اخر افكار، فكرةً علمية، وربما لايتوجب علينا ان نحدد هذا الشكل الجديد الى بيولوجيا كوكبنا بل ربما يتوجب تعميمها على المعلومات المطلقة للكون بما انه العالم الموحد ان اللاسببية اللاعقلانية لمبدأ الواقع النفسي الموضوعي تبدو لنا نادرة

الوجود محتملة الوقوع ولاتخضع لأي قانون، وفي الحقيقة يوجد على الأقل في الكون المطلق (العالم الموحد) ظواهر لاسببية (لا عقلانية ولا حتمية سببية) بمقدار مايوجد من من ظواهر سببية تتطابق بشكل قسري مع ظواهر لاسببية ونعني بذالك ظواهر كشف لاعقلاني للمعنى ماخلال الأشتراك الأحيائي الذي يتطلبه هذا الكشف، فالأرتباط السببي هو ذلك الأرتباط الفيزياوي والأرتباط اللاسببي هو الأرتباط النفسي الموضوعي والمكمل الريالكتيكي الضروري للأرتباط الفيزياوي. إذاً لكل شيء في هذا العالم عبارة عن معلومات من اصغر جسيم كمي او حتى اصغر منه الى اضخم مجّرة عملاقة إن الكون مطلع (كونياً) وبشكل مطلق في كل علامة من علاماته مثلاً يوجد وبشكل دائم إتصال لاسببي للمعلومات بين الجسيمات - الأرض - مادة الـ DNA للخلايا الجنسية مادة الـ DNAللأجناس التي افضت الى الأنسان العاقل نشوء الأخرويات وتطورها (نشوء الكون النفسي واسقاطه على الموت والحساب والحياة الاخرى).

لقد وصف احد علماء السلوك يونغ بأنه على شيء من الجنون لأن مفهوم التزامنية لايمكن ان يكون ذو أساس كبير بالنسبة لأي شخص

عاقل، إن التزامنية ليست حوادث متأصلة في العالم المادي فحسب بل انها وبذات المقدار متأصلة في عالم النفسية وتتجلى هـذه الظـواهر في الحقيقـة عندما تكون النماذج الاولية قد تجمعت ونعني بذلك عندما تكـون نمـاذج القاعدة قد نظمت في النفسية الموضوعية اذ تمثل الظواهر النفسية في نهايـة المطاف لحظات فرعية خاصة، يمكن ان تتعايش فيها العلاقـات بـين المـادة والنفس حنيئذ يجد كل من العالم الخارجي والعالم الداخلي نفسه في ادنـى حد، أي في علاقة تفـسير يختبرهـا كنـوع مـن الانعكـاس المتبـادل وبهـذا الصدد كتبه فون فراز... [٢٤] في الطبقة الاكثر عمقا من اللاشعور (نعـي) النفسية ذاتها في مرآة العالم المادي الكوني والمادة في دورها (تعي ذاتهـا في مرأة النفس الموضوعية بيد أن هذه النفس تكون مطلقة أي انها بالنسبة لنا متعالية على شعورنا كليـا علـى اننـا لا نـستطيع أن نعـي بـشكل جزئـي وبالموعد المحدد هذه العلاقة المرآتية إلا في تلك اللحظات النادرة التي تقـع فيها الحوادث التزامنية وهنا يجد كل من العالم الخارجي والداخلي ونفـسه وبشكل واضح في علاقة انعكاس متبـادل مـستمر لكـن الـشيء الـذي لم يوضحه القول هو من يعكس من.

---

(٢٤) التزامنية، ص ١٣٤.

إن المادة هي التي تعكس النفسية كما يقول يونغ مقدار الاستقرار الذي تفهم النفسية به العالم الفيزياوي أن التطور (نحو الارتقاء) داخل السياق التطوري العام لن يتطابق مع تنظيم مادي أكثر تعقيدا في مستويات البناء فحسب بل سيتطابق في الوقت عينه أيضا مع الشعور بنفسية متنامية اكثر فأكثر وهكذا سيفهم التطور المادي للطبيعة على انه انعكاس مستمر للتطور وللتخليق المضطرد للنفسية الموضوعية إن مفهومنا ديناميكي في كلا الاتجاهين إذ فيه يكون العالم النفسي والعالم المادي انعكاسين متضادين تربط الواحد بالاخرى علاقة مباشرة فإذا ظهر بالنسبة لنا على انهما جانبين يجب أن نفرق بينهما من الناحية المبدئية فذلك لأنهما ومع ذلك وفي اقصى عمقيهما جزئين لكل كوني واحد.

إن مفهوم الكل النفسي والفيزياوي الذي هو تجل لطاقة عمق واحد فقط يلتقي على نحو واضح في النظرية التي كان ديفد بوهر قد اخذها وفق منظاره يكون كل شيء في تدفق وكل شيء متفق وهي وجهة نظر يشاطره فيها العديد من الفيزيائيين إذ لن تكون كل الاشياء والاحداث والكيانات والظروف والبيانات في نهاية المطاف إلا اشكالاً مجردة لهذا التدفق أما خلفيتها النهائية التي هي الكيميائية غير المفهومة لهذا

التدفق الكوني أن هـذه العبـارات نكـاد نجـد نـصها لـدى كونفوشـيوس والتاوية إن المفهوم اليونغي لطاقة واحدة التي تظهـر في تواتراتهـا المخففـة كمادة وفي تواتراتها الأكثر كثافـة كنفـسية يـشبه مـن عـدة جوانـب الآي جنك لدى الـصينيين هـي اتـصالية دون لم في المـادة وذات طبيعـة غازيـة وطاقة مادية كونية تحتاج الكل وتجسيلها الاساسي هو اليانغ وآلين وتنزع الآي جنك اي تحمل تكثيف و تخفيف جزئي اما يونغ فهو علـى العكـس يعطي الاسبقية إلى الجانب النفسي والروحي هذه الطاقـة الـتي تنكـشف لكي تظهر في الامتدادات الجسدة ماديا.

على أن يونغ لم يفترض نظاما لاسـببياً فقـط بـل أن نظامـه يمتلـك أيضا معرفة حيـث أشـار إلى أن مـا نطلـق عليـه تعـبير النفـسية الجمعيـة ليمتلك معرفةاطلق هو عليها (المعرفـة المطلقـة) لأنهـا تختلـف تمامـا عـن معرفة شعورنا،ونجد اليوم هناك عدد من الفيزيائيين الذين يقبلون بـبعض الاشياء مثل (العقل الكوني) بيد أن ما يزال هنـاك خـلاف حـول معرفـة فيما إذا سيكون هذا العقل شعوريا أم لا شعوريا.

أما في ما مجال الاعداد التي يعتبرهـا يونـغ نمـوذج أولـي لنظـام في طريقه لأن يصبح شعوريا فإن التجلي الأكثر بدائية أو الاكثـر بذريـة مـن كل تجليات احد النماذج الاولية أو أي سـياق نمـوذجي أولـي، إن هنـاك

حديثا لدى الفيزيائيين عما يسمى (شـعور أول) في المـادة غـير العـضوية ويمكن هنا افتراض إن الشعور الأول يرتكز على معرفـة العـد، فبحـدود معارفنا الحالية نجد أن الجسيمات الاولية مثـل الكواركـات والبروتونـات والميزونات والبايرونات (تعرف العد) فهي تتحد سداسيا وثلاثيا وثمانيا، وإذا كان اكريتز يعتقد إن الإنسان يملك حسا رقميا لاشعوريا فربما يكـون ذلك نفس الحس الذي تمتلكه الجسيمات دون الذرية وانطلاقا مـن البعـد دون الذري سيكون هناك طريق طويل للغاية، يجب أن يـسلك للوصـول إلى أول كائن حي وحيد الخلية والى برمجته الجنسية التي هي أيضا رقمية.

بل يبدوا أن النظـام الرقمـي للوسـيط الـصيني الأي جنـك، يتبـع القوانين الرقمية للشفرة الوراثية نفسها وذلك من شأنه أن يكون ذو معنى بشكل خاص.

:• •• •• •• •••

بين وحدة الكون الفيزياوية ومبدأ التزامنيات النفسية حينمـا ننطلـق من مفردة وحدة الكون في التصور الصيني لها والتي اذا اخذناها من نـص الاي جنك نجدها في القول بأن هناك مبدأ هو الاول الاعظـم كمـا يقـول الاي جنك، او التاو كما تقول التاوية كـان قبـل كـل الاشـياء الموجـودة

وهذا الاول او التاو تحرك في البدء فنتج عن حركته الاول - اليانغ فاذا ما انتهى تحركه الى هدفه سكن فنتج عنه الثاني الين، ومن خلال استمرار عملية التغير والتحول بين اليانغ الين وجدت كل الموجودات اللاحقة وكان وجودها كله يقوم بصفتين هما اليانغ وما يعنيه من سماء وذكورة وارتفاع... الخ والين وما يعنيه من ارض وانوثه، وانخفاض... الخ، ولما كانت الموجودات الاساسية في نظر الصيني سواء كانت في السماء او على الارض لاتتجاوز - السماء، الارض، الرعد، الماء، الجبل، الريح - الخشب، النار - البحيرات او المستنقعات، فقد حصر تفاعل التغيروالتحول في هذه الظواهر كلها ومن ثم انعكست هذه الثمانية على النفس الانسانية اشرف المخلوقات فتحصلت خمسة اخلاق او عواطف وهي الشفقة، العدالة، الذوق، الحكمة، الايمان الصحيح.

والكون كله لايتجاوز هذه المعطيات المتحولة في منظور الصيني الاي جنك، اما عملية التغير والتحول فيقودها مبدأ غائي هو الوصول الى الشئ الصالح المنبثق عن الطبيعة الثابتة في كل منهما بحيث ينال كل شيء في الكون فطرته السليمة التي تحددها السماء وعندئذ يتحقق للكون الوحدة والتجانس)) وكل عمل الاي جنك يقوم كنظرية معرفة او

معلومات على رصد هذه التغيرات والتحولات ووضعها في سياقات تنظيمية وعقلية لتقود الانسان الذي هو جزء منها اولا وهو الذي يدركها ثانيا الى ان يعيش حياته وفق السياقات هذه التي توصله الى ان يكون الانسان الحكيم الحصيف ومن هنا فان مبدأ السماء هو الذي يمد جميع الاشياء ببداياتها ومن ثم تقوم الاشياء بحكم فطرتها وعبر عمليات اليانغ والين بالسير الى تحقيق هذه الفطرة فما ينبعث من السماء ونهجها هو الخير والانسان يكون حكيماً بمقدار اخلاصه لهذه الحركة واستخدام معطياتها للانسجام معها خاصة وانه جزء منها اساسا، اذ مفهوم التغير في الاي جنك هو مبدأ مطلق يمارس نشاطه على جميع الاشياء في الكون ومنها الانسان نفسه غير ان الانسان يستطيع التاثير في التغير عبر فهمه لهذا التأثير والانسجام معه اولا ومن ثم التحكم بمساراته المناسبة لقدرته وظروفه، فالبذرة تنمو بفضل التغير ولكن في مكننة الانسان التدخل في عملية التغير عن طريق توليه زراعة البذرة - والتغير نظام عضوي يتوافق مع طبيعة الانسان، كما انه نظام دوري متعاقب متسلسل كالليل والنهار والفصول الاربعة والمسارات المحددة لكل منها اذن فالطبيعة ووحدة الكون هي اساس المنظور في الاي جنك سواء على مستوى الحدث

الفيزياوي المتغير والموضوعي او على مستوى الاخلاق الانسانية المبينة اساساً على هذه المعطيات وتسمى الطبيعة البشرية فالطبيعة البشرية تتبع الخير مثلما ينشد المستوى الاوطأ وطبيعة الانسان مزودة بمشاعر تدفعها صوب الخير وهذه المشاعر لم تسكب فيها من الخارج - البيئة - بل هي جزء ذاتي اصلي،ومن هنا كان الصالح هو الفعل الذي يتطابق تماماً مع الطبيعة البشرية المفطور عليها الانسان اساساً ويعبر عن مفهوم وحدة الطبيعة في المفهوم الكونغو شيوعي الفيلسوف منشيوس الذي يقول متحدثاً عنها (هو حالة تتحد فيها جميع الاشياء، وتكوّن جسماً واحداً، وهنا يندمج الفرد في الكون بأسره وتنمحي الفروق بين الذات وعدم الذات، بين الظاهر والباطن، ذلك لان روح الكون وروح الفرد كانتا في الاصل شيئاً واحداً بيد أنهما انفصلتا، ثم انبعثت من عملية الانفصال عوائق وحواجز هي الرغبات الأنانية فلو أمكن للفرد ان يتخطى هذه العوائق فعساه يؤوب الى الوحدانية مع الطبية وهو ما يعبرعنه بالتخلص من الرغبات الانسانية وانصباب قانون السماء دون عائق).

أما المدرسة التاوية وهي ايضاً منبثقة عن الاي جنك ومبادئه الاساسية فتصور وحدة الكون كما يقول لاوتزو مؤسساً في اصل تعريفه

للتاو حيث يقول بأن التاو مصدر الكائنات جميعاً وهو الذي يسوس جوانب الحياة بأسرها سواء كانت بشرية ام غير بشرية وهو الوحدة الاساسية التي لا تتجزأ،والتي تحل في نهاية المطاف جميع متناقضات الوجود ومفارقاته، وان الانسان الحكيم الانسان الكامل هو الذي يكون على بصيرة بمبدأ التاو الخفي ويتولى ترتيب حياته وتبويب اعماله وفقاً لاحكامه، والتاوية في مجال الحياة البشرية تدعو الى الانصياع لحركة الكون واطراد العملية الكونية، والسلبية تجاهها،لأن حركة المظاهر الكونية في نظام بديع يبلغ ذروة الكمال، فالفصول الاربعة تتبع نظاماً واضحاً دون حاجة الى نقاش او لجاج وتسير جميع الظواهر الطبيعية المتعددة وفقاً لمبادئ محكمة، والحكيم العظيم من يسعى لفهم اسرارالطبيعة ويعني باستقراء مكوناته،فالحياة عندما تقبل فلأن الوقت قد آذن بقدومها وعندما تروح فلنتيجة طبيعية للأحداث، وتقول التاوية اذا اولئك الذين يدركون اوضاع الحياة لا يرمون المجاز شيئ تعجز الحياة عن اتيانه ومن يعلم تصاريف القدر لا يتطلع لما فوق متناول المعرفة، وبالتالي فأن التاوية تقفز من الحالات الفردية الى القانون العام الذي ينظم بقول لاوتزو (ان من ادرك معنى التغير لم يعد يركز انتباهه على الاشياء الفردية المؤقتة بل على

القانون الابدي الثابت الذي يعمل في كل تغير وهذا القانون العام هو التاو، انه سكةالاشياء واصل الواحد في الكثرة)، ان التاو الذي لايدرك باللمس ويمتنع عن القياس - كما يقول لاوتزو - تكمن فيه نماذج الاشياء واصولها ويضم بين طياته الذاتية والوجود واخيراً فان وحدة الكون تأثراً وتاثيرا وعبر عملية اليانغ والين المتغيرة تصبح حتى في الاخلاق والسلوك الانساني من صفات الحكمة يقول تشوانج تزو المعلم الثاني للتاوية (الكون وحدة جميع الاشياء، فلو سلم الفرد بذاتيته مع هذه الوحدة، تصبح لديه فكرة الموت والحياة - وكذلك البداية والنهاية - وهي تعكر صفو حياته - مجرد تعاقب الليل والنهار) وبناء على كل هذه المعطيات كان الاي جنك يبني تنبؤاته واستشاراته، فما دام الكون والانسان نشأ نشأة واحدة ومن اصل واحد فان قانون التغير عبر اليانغ والين تنطبق عليه، وعليه كسلوك حياتي اخلاقي ان ينسجم مع هذا التغير وهذه القوانين، لأن ارادة السماء خيرة وهذه القوانين كما تظهر في الارض وظواهر السماء حكيمة مثالية كاملة لذا فان الانسان الحكيم هو من يستسلم لها مقتنعاً بان كل حال سيحول وكل قوة ستضعف وكل ضعيف سيقوى فدورة الكواكب في السماء وحركة الليل والنهار وتبادل

المواقع في الفصول الاربعة وكل شئ يقود الى الاعتراف بهذه الحقيقة، فلماذا نقف امام التيار وهو في اوجه فانها لابد ان يأتي بعده الهدوء والسكينة.

ان هذه النظرة الوصفية لاستقراء الاحداث الكونية وسيرها على سكة محدودة مرسومة ونظراًلان الدورات تجعل النهاية تلتقي في البداية في كل سير دائري فقد كان الاي جنك يمارس نشاطه التنبؤي ويعطي الاستخارات البشرية مفردات السير السليم والحكمة العميقة، على ان هذه النظرة الساذجة بمنظورنا المعاصر لايمكن ان تفسر سر القدرة السحرية الغريبة هذا الكتاب، فأين يكمن اعجازه الذي نشاهده في التجربة العملية والممارسة الوافعية؟ وهل هناك ارضية علمية، رياضية،يمكن من خلالها ان نفسر هذه الغرابة والعجائبية؟ وكيف يمكن لكتاب وصفي بدائي ان بعطينا موقفاً في مجتمع معقد كمجتمع القرن العشرين إجابات تجعل كل الذين عرفوه وجربوه من علماء فيزياء او علماء نفس او باحثين وكتاب يحترمون عقولهم ومعطيات العلم المعاصر يصرون على استشارته في كثير من شؤونهم الحياتية حتى الجزئية منها ويستريحون لما يقول وقد يتبعون كلماته حرفاً حرفاً؟ وهل هناك اليوم –

وبعد خمسين قرناًمن ظهور الكتاب - مايدلل في علوم عصرنا وما يؤيد ما يقوله هذا الكتـاب؟ سـواء علـى المستوى الفلسفي او العلمـي، وعلـى مـستوى الكوزمولوجيـا والـسيكولوجيا او الباراسـيكولوجيا ، وعلـى مستوى الاحصاء الرياضي والتجارب الفيزياويـة المعقـدة الحديثـة؟ بـدءاً يجب ان لا نغفل ماحاول ان يفعله ليبنتز في الحساب الكـوني وان يرجـع كل معطيات العلوم التي واكبها الى أسس واحـدة ذات طـابع رياضـي او رمزي موحد، لقـد كانـت ملاحظـة ليبنتـز الاولى علـى مجمـع الثقافـات الفلسفية والعلمية التي اطلع عليها فوضع منهجا يقوم علـى مـا قالـه [٢٥] (لقد تأثرت بمذهب جديد ومنـذ ذلـك الحـين اظـنني ارى وجهـاً جديـداً لباطن الاشياء، هذا المذهب يبدو جامعاً افلاطون الى ديمقراطي، وارسطو الى ديكارت، والمدرسين الى المحـدثين، واللاهـوت الاخـلاق الى العقـل، ويلوح أنه يأخذ الافضل من كل صوب، ثـم يمـضي الى ابعـد ممـا مـضوا للأن واذا التفتنا الى اثار الحقيقة هذه عند القـدماء، استخرجنا التـبر مـن التراب والماء من المنجم والنور من الظلمات واقمنـا فلـسفة دائمـة. هـذه الفلسفة تضم طرفاً من كل مذهب وتوفق بـين الاضـواء توفيقـاً مبتكـراً،

(٢٥) تاريخ الفلسفة الحديثة

والاضواء كثيرة، الكلي والجزئي، الممكن والموجود، المنطقي والميتافيزيقي الرياضي والطبيعي، الالية والغائية، المادة والروح، الحس والعقل، تضامن الاشياء وفاعلية كل منها، ترابط العلل والحرية الانسانية، العناية الالهية والشر، الفلسفة والدين لقد باتت هذه الاضواء متنافرة متباعدة حتى يـر في سبيل امام الفكر سوى الاختيار بينها والميل الى جانب دون آخر.

لقد حاول ليبنتز ان يستخلص من كل هذه الاختلافات المعاني البسيطة الاولية ويرمز لها بأشارات تكون بمثابة الف باء الفكر ثم يعين جميع التأليفات الممكنة لهذه الاوليات ويرمز لها باشارات لقد حاول ان يوجد (لغة كلية) من الاشارات جميعاً او علم (الخصائص الكلي) يكون في ان واحد منطقاً ودائرة معارف واجرومية.

ان اطلاع ليبنتزعلى الاي جنك جعله يحاول ان يفعل مثل فعله ولكن ضمن معطيات فلسفية ورياضية دقيقة ففكرة جمع العالم كله والكون كله في قانون وماثر الحديث عن المتضادات اوالمتمايزات المتفاعلة مع بعضها كل ذلك قاد ليبنتز الى محاولة رسم الحساب الكوني لكل شيء فتوصل الى ما اسماه المونادات التي تعني الوحدة، وهي قوة متجهة الى الفعل بذاتها حاصلة على التلقائية، فلا تفعل بتحريك محرك مغاير كما

هو الحال في المادة وهذه القوة وسط بين القوة والفعل، فحالاتها الداخلية الكامنة قوة تتجه الى الفعل التام وهذه المونادات تتمايز فيما بينها ولها ذاتية بل وجود حي ومعرفة لانها مرآة للوجود.

ان محاولة ليبنتز في وضع هذه اللغة وتجاوزه عن مبدأه الموحد كان اول ممارسة عملية للتفاعل بين منطوق وحدة الكون واشيائه ولغته الموحدة وما طرحه الاي جنك كلغة حسابية تعتمد على شكلين هندسين يقوم الاول على شكل خط متصل والاخر خط متقطع، وعلى الرغم من ان برتراندرسل قد وصف ليبنتز بأنه مؤسس المنطق الرياضي الاانه مع ذلك لم يستطيع ان يحقق لغته الرياضية الشاملة للتعبير برموز عن حركة التغير والموجودات في الكون كله.

ان نظرة مراجعة الى تاريخ العلم والفلسفة وموقع الرياضيات في نظرية المعرفة يقودنا الى التسليم بما قال به أي جنك حول الطبيعة بلغة بدائية قديمة واستنطاقه لها برموز بسيطة شكلية. ان واقعية الفيزياء الرياضية تقوم على ماقاله (هيوجين ويجز) والذي يشبه عمل الاي جنك ولكن بلغة بدائية رغم ان ارضيتها علمية كما نرى [٢٦] (لحن في وضع

(٢٦) الرياضيات والبحث في المعرفة

مشابه لوضع الرجل الذي في حوزته مجموعة من المفاتيح وعليه ان يفتح عدداً من الابواب بالتعاقب، فهو يحصل على المفتاح الصحيح بالمحاولة الاولى او الثانية فيشك في تباين المفاتيح والابواب معاً) أما لو سأل الاي جنك فأنه سيجد المفتاح المناسب للباب المناسب في اول تجربة. لقد توصل العلماء من وصفهم للطبيعة من خلال الرياضيات البحتة الى ان هناك نجاحات هائلة رائعة لأن الطبيعة تتصرف رياضياً، لقد اعتقد كل من ديكارت وكيلر ونيوتن وكذلك ليبنتز ان هناك تناسقاً متأصلاً في الطبيعة يعكس نفسه في عقولنا على شكل قوانين رياضية،هذا التناسق هو سبب ان الاحداث في الطبيعة يمكن التنبؤ بها من خلال الملاحظة والتحليل الرياضي، لقد اكد اتباع ديكارت على حقيقة التصميم الرياضي للطبيعة، كما ان كيلر نفسه اعتبر ان حقيقة العالم تكمن في العلاقات الرياضية،اما غاليلو فلقد قال ان المبادئ الرياضية هي الف باء التي كتب بها الله هذا العالم وبدون مساعدة الرياضيات يصبح من الصعب كتابة كلمة واحدة، وبالحقيقة فان صفات العالم الطبيعي التي يمكن صياغتها بعلاقات رياضية هي الصفات التي يمكن معرفتها، كما ان العالم رياضي في تركيبه وصفاته وان الطبيعة تعمل من خلال قوانين ثابتة

غير قابلة للتغير ومن هنا نرى ان غاليلواعتقد ايضاً بالتصميم الرياضي لخلق الكون. كذلك اعتقد نيوتن بان الله خلق العالم وفقاً لمبادئ رياضية معينة ولعل خير تفسير لنظام العالم الرياضي هو القول بانه يوجد في الطبيعة انسجام خفي ينعكس في عقولنا على شكل صور من القوانين الرياضية البسيطة، هذا هو تفسير اكتشاف الاحداث في الطبيعة على شكل تركيبات من الملاحظات والتحليلات الرياضية وبهذا فان متطلبات الانسجام في الطبيعة وجدت لها تفسيراً بعيداً عن توقعات العلماء.

ان كثيرا من الافكار الفلسفية والعلمية المعاصرة نجد لها اوليات في كل الفكر الانساني القديم وخاصة الصيني والهندي واليوناني،لذا فان ادراك التشابهات بين ما يقوله أي جنك او ديمقريض حول التغير وما نجده اليوم من حديث عن الذرات والحركة ونظام الرياضيات التي يحكمها هو وضوح اخر وتسمية معاصرة لمفردات قديمة يقول موريس كلاين (لقد حدد العلم موقفنا من الطبيعة منذ زمن الاغريق حيث تم التاكد من نتائج النظريات العلمية الرئيسية مئات بل الاف المرات،كما تم بناء الفلسفات الرئيسية بوجود النتائج العلمية لعلوم الفيزياء

ان التطورات الحديثة وخصوصاً بالنسبة للنظرية الكهرومغناطيسية والنسبية والميكانيك الموجي طرحت فكرة النظر الثنائية في المذاهب الفلسفية حيث يتعلق موضوع هذا الفصل في رسم الخطوط الفلسفية القديمة والحديثة التي وصفت وجهات نظرنا عن الطبيعة) لقد حاول كلاين فلها ان يشير الى التشابه بين تصورات الاي جنك عن الكون ووحدته وبين العلم الحديث وما يقوله في هذا الصدد فيقول عن اليانغ والين وتفاعلهما [٢٧] امتزاجهما الداخلي وبنسب مختافة هو التفسير كل الاختلافات بين جميع المواد والاشياء في الكون التشابه الضئيل بين الفلسفات القديمة والفكر العلمي الحديث نادراً ما يكون مريحاً الاانه في هذه الحالة اغراء الحالة اقوى من ان يقاوم النظرية القديمة التي تقول بوجود (٩٠) عنصراً غير قابل للانقاص والتي عندما تركب ببعضها تعطيها جميع المواد، قد أدت الى معرفتنا بأن جميع المواد يمكن ان تنحل الى ذرات وبأن سماتها الفردية هي نتيجة لتنوعات في نسب البروتونات والالكترونات في تركيبات هذه الذرات، اما الى أي مدى تشابه هذه النظرية مع مفاهيم ومبادئ اليانغ والين فأنا لا اعرف وبشكل ظاهري

(٢٧) أي جنك ص ١٩

سطحي هناك تشابه صاعق فمدرسة الفكر تعتقد ان اصل المواد واحد وبأن الاختلاف بينهم هو نتجة لاختلاف في تركيب مايمكن ان نسميه بالجوانب السالبة والموجبة).

ان نظرة رقمية حسابية يلقيها كلاين على الاي جنك ليجد فيه اساساً رياضياً غريباً فالتغييركما يقول (ينظر اليه كامتداد من واحد الى ما لا نهاية على طريق يحتوي من اجل السهولة (٢) ين ويانغ و (٨) رمز الجداول الثلاثية و (١٦) مرموز ببعض الجداول السداسية، و (٣٢) رمز هذه و١٦ جدولأسداسياً اخر و (٦٤) رمز جميع الجداول السداسية، وبكلمات اخرى كل مرحلة على الطريق تتكون من صنف الرقم السابق، وبسبب عدم وجود مراحل بين (٦٤) وما لانهاية هو نتيجة قرارلعدم تعقيد الامر امام تفهم الانسان الاعتيادي (وحتى مع هذا الحد الاعتباطي في ارقام الرموز فان كتاب التغير يستطيع توفير (٤٠٩٦) اجابة ممكنة على اسئلتنا وهو رقم جيد بالتاكيد).

ان مفهوم الوحدة الكونية الفيزيائية وتبادل التأثيرات في كل شيء والتشابه بين الكون الصغير الانسان والكون الكبير نجده بوضوح يقول بيكو ديلاميراندولا وهو يتحدث عن ثنائية السببية والوحدة اللاسببية

حيث يقول [٢٨] (اولاً هناك الوحدة في الاشياء التي يشكل كل شيء فيها واحداً قائماً بذاته يتكون من نفسه وثانياً هناك الوحدة التي يتحدد بواسطتها مخلوق مع الاخرين كما تتحد ايضاً كل اجزاء العالم لتشكل عالماً واحداً) بل اننا نجد كبلر يتحدث عن روح العالم وروح الانسان كما تحدث عنها الكَومنشيوس الكونفوشيوس، يقول كبلر [٢٩] (لا يمكن لاي شيء ان يوجد ويحدث في السماء المرئية دون ان يتم تحسسه بوسائل خفية في اقسام الارض والطبيعة، وتتاثر هذه الاقسام من الروح الموجودة على الارض بنفس القدر التي تتاثر به السماء نفسها، ان الروح الطبيعية للانسان ليست اكبر حجما من نقطة منفردة وعلى تلك النقطة نقش نمط سلوك السماء بكاملها وكأن هذه النقطة اكبر من حجمها مئات المرات)، كما ان ليبنتز كما رأينا يتحدث عن المونادات وكأنها كون اصغر عن كون اكبر حتى بالنسبة للمعلومات،ان وحدة الكون تستدعي وحدة قوانينه وتبادل التاثر والتاثير ضمن انسجام ونسق واضح وهذا مانجده في التصور الصيني في الاي جنك وفي التاوية بشكل اوضح كما نراه لدى كل

(٢٨) جذور المصانفة ص٨٥.

(٢٩) نفس المصدر ص٨٩.

الـصوفيين المـسيحيين وغيرهـم يقـول ارثركوسـتلر (ان المفهـوم الـسائد هو(الوحدة في التنوع) أي ان الكل هو واحد والواحـد هـو الكـل وقـد وجد هذا المفهوم صدى له في كتابات الصوفيين المسيحيين كما انه يشكل عماد البوذية والتاوية فهو يوفر خطوط العـرض لكـرة شـونبهور ويـربط المصادفة بالتخطيط الكوني للاشياء واستناداً الى مايقولـه يونـغ فـأن كـل الممارسات المتعلقـة بـالرجم الغـيبي مـن النظـر الى اوراق الـشاي وحتـى الاساليب التنبؤيـة المعقـدة لكتـاب أي جنـك مبنيـة علـى إن الاحـداث العشوائية هي اسرار ثانوية يمكن النظر اليها بوصفها مؤشرات نحـو الـسر المركزي).

ان الترابط بين وحـدة الكـون الفيزياويـة جـاء ليـؤدي الى التزامنيـة النفسية كما عرضها يونغ والتي قد تجد اساساً لها في بناء الكون نفسه على اساس وحدة المادة والنفسية الفيزيـاء والـسايكولوجيا والـتي تظهـر عنـد اليونغ في مفهوم اللاشعور الجمعي او تظهر كنظام معرفي او نظرية معرفـة تعتمد السببية للفيزياء واللاسببية للتزامنيات ذات البعد النفسي.

لقد عبر بعض الكتاب عن وحدة الكون المعروفة اليوم فيزيائياً وطبيعياً بناءعلى الحقائق التالية [٣٠] :

١- التشابه الكلي في تركيب اجزاء هذا الكون من اصغرها وهي الذرة الى اكبر نجومه ومجراته، نواة تدور حولها كهيربات في الذرة، الى كواكب تدور حولها الاقمار،الى شموس تدور حولها الكواكب.الى مجرات تدور حول بعضها فلك دوار.

٢- تربط هذه الاجزاء ببعضها روابط الجاذبية والمغناطيسية والكهربائية وقوى غيرها. كل كتلة تجذبها كتلة اكبر منها فتغدو تابعة لها، وهذه كلها مربوطة بكون اكبر، والمشابهة في التركيب والوظيفة رابطة توحد كل الاحياء، والانسان هو جزء من هذا الكل

٣- يقول انشتاين وسائر العلماء ان الطاقة والاشعة والمادة كلها حالات مختلفة لشيء واحد (الكل هو الواحد والواحد هو الكل).

وبالتامل في هذه المعطيات تكتمل صورة في الذهن لكون موحد اجزاؤه متماسكة فكل تفاعل فيه يشمل جميع اجزائه. ودقائقه كالجرس البرونزي اذا انقرته في أي نقطة ارتجت سائر اجزائه هنا ينير العلم الطريق

---

(٣٠) الحاسة السادسة ص ١٦٧

فجميع الظواهر التي ظن عند اكتشافها انها منفردة بذاتها تبين انها ليست كذلك بل هي متداخلة ومسببة بعضها لبعض فالكهرباء توجد حيث توجد المغناطيسية حيث توجد الكهرباء (الكهروطيسية) وهذا الاشعاع هو اساس الضوء واللون والحرارة الاشعاعية وامواج هرتز الكيمياء طفى عليها على الذرة - وتحكم الاعصاب والغدد في الجسم اكتشف انه يعتمد على عمليات كهروطيسية ان قواعد الطبيعة التي كانت معروفة بالكهرباء والحرارة والضوء والنار الكهربائية والحركة الميكانيكية والمغناطيسية وجد انه يمكن تحويل أي نوع منها الى نوع اخر من الطاقة، ومجموع هذه الطاقات في الكون ثابت لا يتغير طاقة واحدة تاخذ اشكالا منوعة، كل العناصر الكيميائية لها ذات المصير فكل الذرات وجد ان لها التركيب نفسه تختلف فقط حسب عدد الكهارب ودقائق النواة.

لقد لخص هذا الوضع هويته بقوله ((المادة هي الطاقة والطاقة ما هي الا نشاط، لا مكان لوجود أي شيء منفصل منفرد (الكل واحد والحد هو الكل) وهذا يطابق راي يونغ الذي يقول يوجد عقل كلي واحد يشترك فيه جميع الاحياء. وقال هنري بوانكارية في كتابة قيمة العلم)) اذ يحق لنا ان نتكلم في ظاهرة من ظواهر الكون ما دام كل جزء من

اجزائه متصلا بكل جزء اخر برباط التضامن؟ ان أية ظاهرة من الظـواهر لن تكون نتيجة سبب واحد بل نتيجة اسباب غير متناهية العدد) ان ايـة ظاهرة مهما يكن شأنها ليست في الغالب الا نتيجة لحالـة الكـون كلـه في لحظة سلفت.

لقد كان ادراك الاي جنك للكون ووحدته هي التي قادت الى تحقيق نظام قدرته التنبؤية عبر اسـتخارات الانـسان وعـبر العـصر الخمـسين او القاء النقود في لحظة معينة، فكيف يفـسر العلـم الحـديث وحـدة الكـون بالمعطيات الجديدة للعلم فيما يفرزه من نظام علمي ومعلوماتي وتنبـؤي، ان نظام الاي جنك يقوم على مبدأ التغير الذي يحكم وضع الاشـياء بـين اليانغ والين وتحولاتهمـا واللغـة البـسيطة للظـواهر الـسماوية واشـكالها الارضية وانعكاساها علـى ذات الانـسان هـي مـا يـشكل النظـام المعـرفي التنبؤي للاي جنك ولهذا فهو يستطيع تحديد كافة مفردات الكـون في أي لحظة يريد وينصح المستشير بالتعامل مع متغيراتها المقبلة المحددة مضمونها تنبؤياً، فهل في العلم الحـديث الـذي وصـل الى ادق تـشخيص لحركـات الكون والطبيعة والاشياء ما يمكن ان يقودنـا الى التنبـؤ العلمـي المناسـب لهذا الادراك لوحدة الكون مكونات وقوانين وسـيافات؟ مـن هنـا دخـل

مفهوم التسلسل والتزامنية على العلم الحديث يقول كوستلر[٣١] (ان التسلسل والتزامن اشتقاقات للمعتقد الاصلي في الوحدة الاساسية لكل الاشياء والتي تتجاوز السببية الميكانيكية ومرة اخرى يعطي العلم الحديث تطابقاً غريباً لمفهوم التوحد الغامض، وقد يقارن المرء التطور العلمي على مدى القرن والنصف الاخرين بنظام نهر كبير ليبتلع المنبع الرئيسي فيه الفروع واحداً تلو الآخر لكنها جميعها تتحد في مصب واحد نهر هائل كبير). فكيف نفهم هذه التزامية وارتباطها وشبهها بالاي جنك وعمله؟

لعل اقرب اشارة دقيقة لهذا التعامل بين التزامنية ليونغ والاي جنك يمكننا ان نجدها في مقالة يدلاند يعقوبي بعنوان (الرموز لدى تحليل الفرد) والتي هي جزء من كتاب الانسان ورموزه الذي اشرف عليه يونغ حيث نجد يعقوبي يقول محللاً كتاب أي جنك [٣٢] (يقوم الكتاب بالاساس على فرضية تقول بوحدة الانسان مع الكون المحيط وبوحدة الازواج المتكاملة التي يحققها الضدان (يانغ وين) أي عنصر المذكر وعنصر المؤنث وهو يتالف من (٦٤) علامة كل علامة منها يمثلها رسم يتكون من ستة خطوط. هذه العلامات تحوي داخلها جميع التركيبات التي يمكن ان

(٣١) جذور للمصادفة ص ٨٧

(٣٢) الانسان ورموزه ص ٢٨٠

يصنعها االتقاء اليانغ بالين.... كل علامة تصف التغيرات في وضع الانسان او الكون، كما تحدد كل منها بلغة تصويرية مسار العمل الذي ينبغي اتخاذه في مثل تلك الاوقات. وقد كان الصينيون يستشيرون هذا الوحي من حيث انه يدل على العلامة صاحبة العلاقة في لحظة معينة من الزمن....) أما عن معنى كشف الغيب هذا فيعبر عنه يعقوبي بقوله (لكن ما هي الدلالة التي يتصف بها مثل هذا الكشف عن الغيب بالنسبة الى عصرنا الحاضر؟ فحتى اولئك الذين يقبلون الفكرة القائلة ان الاي جنك هو مخزن الحكمة سيجدون من الصعب عليهم ان يعتقدوا ان استشارة الوحي تتعدى اية تجربة من تجارب السحر والتنجيم، والحقيقة ان من الصعب الاعتقاد بأمكانية الوصول الى شئ اكثر من ذلك، اذ ان الانسان العادي في الوقت الحاضر ينبذ شعورياً جميع الطرق والاساليب الغيبية نوعاً من الهراء الذي اكل الزمن عليه وشرب، ومع ذلك فهي ليست هراء. انها وكما اوضح الدكتور يونغ تقوم بالاساس على ما ندعوه ب(مبدأ التزامن) (او بصيغة ابسط مبدأ التوافق ذي المعنى)وقد وصف الدكتور يونغ هذه الفكرة الجديدة في مقالته (التزامنية او مبدأ الترابط غير السببي). انه يقوم بالاساس على الافتراض بأن هناك معرفة

لا شعورية داخلية تربط بين الحدث المادي والحالـة النفـسية،بحيث ان أي حدث بعينه يظهـر (بالمـصادفة) او(عرضـاً) يمكـن بالحقيقـة ان يكـون ذا معنى على الصعيد النفسي ومعناه غالباً ما يـشار اليـه رمزيـاً مـن خـلال الاحلام التي يتوافق حدوثها مع الحدث).

اذن فان التزامنية اذا اثبتنـا علميتهـا تفـسر لنـا الاي جنـك وعملـه تفـسيراً علميـاً، فـاذا كانـت وحـدة الكـون الفيزياويـة قـد اتفـق عليهـا كمقدمات في الفكـر الـصيني لـلاي جنـك وفي الفكـر العلمـي الحـديث للتزامنية، فيجب ان نجد فهماً واحداً لكل من النتيجـتين التزامنيـة والاي جنك.

ان يونغ كما يقول كلاي تحدى العلمـاء الـذين سـخروا منـه ومـن الاي جنك وتكهنانه لم يقف عند حد ان يطلب منهم تجربته بل حـاول أن يفسر عمله في الفهم التالي رابطاً بـين للاشـعور وحالـة الكـون في لحظـة معينة يقول كلاي [٣٣] (عالم النفس العـالمي يونـغ تحـدى سـخرية زملائـه العلماء بكتاب التغيير وذلك عبر اعلانه لايمانه بتكهنات الاي جنك وقـد ذهب ابعد من ذلك في محاولة لان يبين صحتها ونقاشه على حد ما فهمته

(٣٣) أي جنك ص٧

هو. ان كل مايحدث في دقيقة معينة مرتبط بحالة الكون كله انذاك، وعليه حتى لو تم استخدام اسلوب رمي قطعة نقدية بغية تقرير أحد أمرين، فليس هناك شك حول النتيجة اذ ان كيفية سقوط القطعة النقدية سوف يكون محكوماً من قبل الحالة السائدة، وفي هذا المضمار ايضاً نجده يستخلم جملة (اكتشاف اللاوعي) ويبدو انه يعتقد ان اسلوب عمل كتاب التغير هو سحب ماهو موجود في اللاوعي الى سطح اذهاننا كل ما هو ضروري لتفهم صحيح للمشكلة الموجودة حلوها).

ام كولن ولسن فيفهم تفسير يونغ للاي جنك نجد التزامنية واللاشعور بالشكل الذي عبر عنه قائلاً [٣٤] (ويبر عالم النفس ك.ج. يونغ كل هذا بالمبدأ الذي يدعوه النزعة التزامنية، أي افتراض ان(الحوادث) (والمصادفات) ترتبط كلها بشكل ما بالعقل اللاواعي - وهو افتراض وضعناه نحن في اعتبارنا وبحثناه بالفعل في هذا الكتاب. فالعقل الباطن (يعرف) الاجابة على السؤال -هذا هو الافتراض الذي يستخدم لتفسير كل اعمال التنبؤ والعرافة -وتستطيع (المصادفة) التي تحكم سقوط قطع العملة او تقسيم سيقان النبات - ان تسجل هذه

(٣٤) الانسان وقواه الخفية ص٨٣

المعرفة او تبرزها واضحة للعقل الواعي) ويشرح كولن ولسن بعبارات اخرى هذا المفهوم لعلاقة التنبؤ بالمستقبل باللاشعور فيقول (ان العقل اللاوعي هو النقطة التي يرتبط عندها الانسان حقاً بالطبيعة، وقد وصف مؤرخ علوم الغيب (و.ا. وايت) كيف قادته سنوات الدراسة اخيراً الى ادراك انه ليس هناك انفصال حقيقي بين الانسان وبين الكون ووصف ايضاً كيف تحول هذا الفهم العقلي الى استبصار يحسه بعمق بالغ من خلال مرض خفي اصابه فيجعله يظل في حالة تشبه الوعي خلال شهر كامل هذا... هو مايحدد الهدف من كل الدراسات عن السحر وعلوم الغيب، اننا نعرف - بشكل نظري - اننا نمتلك عقلا لاواعيا ومع هذا فانني اذ اجلس في هذه الحجرة ذات صباح مشمس فانني لااشعر به باي شكل من الاشكال لايمكنني ان اراه او احس به انه يشبه ذراعا رقدت فوقها لمدة طويلة في نومي فأصبحت كالميتة تماماً خالية من كل احساس والهدف الحقيقي الذي تسعى اليه اعمال من نوع الاي جنك او كابالا او مفتاح سليمان هو استعادة الدورة الدموية الى تلك المناطق من العقل).

يبدو ان اللاوعي واللاشعور عند كثير من الباحيثين حتى بالمعنى الفردي لا الجماعي كما هو عند يونغ. هو الذي يبرز المعرفة التنبؤية، ويمتلكها وما الاي جنك وما اشبهه من اوراق الشابرث وغير انما هي

محفزات او تقنيات لاستخراج هذه المعرفة، تقول ان يدهو فمان في كتابها تطويرالمهارات النفسية وهي تتحدث عن الاي جنك وتوحي مستخدمة بضرورة الاسترخاء، والتأمل [٣٥] (ليس هناك ردود في الكتاب بل انها توجد داخلك، ومهمة الكتاب هنا هي خدمتك في تحفيز الحكمة التي توجد عندك وتحملها الى الوعي وكل الردود التي تحتاجها موجودة داخلك أي في عقلك اللاوعي، والاي جنك هو أحد السبل الفعالة لحمل الردود الى السطح).

(٣٥) تطوير المهارات النفسية ص١١٥

حينما نتحدث عن الجانب الاخلاقي في كتاب لا يقوم إلا على اشكال سداسية عددها ٦٤ شكلا تتكون من خطوط متصلة وخطوط منفصلة ولا يدعي الكتاب أي رسالة دينية، فان هذا الجانب الاخلاقي يقود إلى تقديم طقوس اشبه ما تكون بطقوس الديانات الاخرى البدائية ذات الطابع المقدس فالمقدس الاخلاقي في كتاب الاي جنك يمكن اعتباره مقدسا دينيا لدى الصينيين القدماء ةورغم انه لا يتحدث الا عن السماء والارض والاشكال والظواهر الناتجة عن تفاعلاتها وتقابلها بمنطق الين واليانغ الا ان الاحترام الذي يبديه الصينيون للكتاب والطقوس التي يمارسونها قبل استشارته تعطيه معنى روحيا على الاقل ان لم يكن دينيا، وهذه الاستشارة المسبوقة بهذه الطقوس الاخلاقية تعني فيما تعنيه ان المسألة ليست فنية أو حسابية أو هندسية فهذه العملية ليست اكثر من تقنيات المخاطبة للسؤال والجواب والاستشارة، والمسألة تتعلق بالغيب والغيب لم يكن يوما ما مسالة فنية أو تقنية في ذهن الإنسان القديم والحديث على السواء، لأن المجهول مخيف والخوف انفعال تجاه الموت

والخطر اساسا وبالتالي هذا يدخلنا في جانب الانفعال الديني تجاه المعبـود الاكبر القادر على كل شيء والمتحكم بكل شيء.

لكل ما تقدم نجد ان الكتاب أي جنك يتضمن مثـل هـذه الطقـوس والاخلاقيات لمارسة عمله التنبـؤي يقـول كـلاي في مقدمتـه لاسـلوب التكهن عن هذا الجانب بان الانسان تالـذي يتعامـل مـع الاي جنـك إذا كان يعتقد ان كتاب التغـيير مكـون مـن ورق وحـبر وطباعـة بـين دفـتي الكتاب فلـيس هنـاك مـا يـستطيع ان يقنعـه بـالعكس، امـا إذا اسـتخدم الكتاب ليجلس فوقه أو ليسند عليه قدميه فالكتاب لن يشعر بمهانـة كمـا قد يفعل بروفسور مـا إذا مـا تمـت معاملتـه بـنفس الطريقـة . وفي نفـس الوقت قد يتردد رجل اخر يجد الكتاب مقنعا من ان يحـرق البخـور أو ان يسجد على الارض قبل ان يبدأ بتوجيـه سـؤاله، الاانـه في الـشرق هـذه المراسـم مقبولـة مـن قبـل النـاس جميعـا وإذا كنـا لا نريـد تطبيـق جميـع التعليمات ربما لن تحصل خسارة الا ان تطبيقها قد يكون اكثر حكمة مـن حذف بعضاً ويستمر كلاي في وصف طريقة معاملة الكتاب كمـا يـصفها الكتاب نفسه فيضيق عند عدم الحاجة إلى الكتاب يجيب ان نغلقـه بقطعـة نظيفة من الحرير أو القماش وان نضعه على علو لـيس اوطـأ مـن طـول

قامة رجل واقف وعند استخدامه يجب علينا ان نغسل ايدينا وان نفتح القماش المغلف للكتاب بدون ان نرفعه منه لأن الاعتقاد السائد بان الاشياء المقدسة عندما تلامس سطحا غير نقي تفقد شيئا من فضيلتها وهذا الاعتقاد ليس عند الصينيين فحسب. على ان الكتاب كما يلاحظ كلاي يهتم بطرق الحصول على الرضا الداخلي والانسجام مع المحيط اكثر من اهتمامه بمساعدتنا على طريق النجاح المادي وخصوصا إذا كان هذا النجاح سيتسبب في مصاعب للغير أو سيؤثر على شخصيتنا بشكل سيء أو راحة بالنا، لذا فالاسئلة التي تخص كيفية الانسجام مع الظروف الخارجة عن ارادتنا ستلاقي استجابة وعونا اكثر من الاسئلة الموجهة نحو اكتشاف طرق للكسب المادي، وهذا يعني ان الجانب الاخلاقي حتى في موضوع الاسئلة موجود. وهذا لا يعني تجنبنا للاسئلة التي تخص التجار والمال لأن هذين العاملين يؤثران على حياتنا وحياة من نعيلهم، ولك الرهان والقمار وسائر اساليب الفن المادي التي لا تخدم الغير هي غريبة عن روحية كتاب الاي جنك، ولهذا نرى ان المثقفين الصينيين المحترمين نادرا ما يوافقون على طرح مثل هذه الاسئلة اما المشعوذون فامرهم

مختلف وهمهم هو الكسب المادي ولهذا نرى اجوبتهم نادرا ما تكون ذات أهميّة.

ومن هنا نرى ان الافضل في الاجوبة التي نتلقاها على الاسئلة هي التي في الجانب الاناني قليل، ويتفق الصينيون المثقفون على ان كل سوء لاستعمال الكتاب لاغراض انانية يحتمل معه ان تتقلص معه القابلية على الحصول على اجوبة وتفسيرها وترجمتها بشكل صائب ودقيق إلى حد بعيد للغاية.

ان القاء نظرة على الجانب الخلقي في اجوبة الكتاب حتى في النص الذي سبق كونفوشيوس وتعليقاته تشير إلى الصلة بين النوايا الكامنة خلف الاسئلة، حيث نجد انه نادرا ما يقول لنا الكتاب في نصوصه القديمة ان هذا سيحصل بالتاكيد بل تكون الاجابة بان هذا الشخص الافضل ينصح بان يفعل هذا الامر وان يمتنع عن القيام بهذا الامر وهكذا وصفة الافضل قيمة اخلاقية اساسية وحينما يحاول كلاي تفهم معنى الشر والجنس في كتاب لأي جنك على ضوء المدارس الثانوية التي لحقت به بعد ذلك وافكار (الزن) ويقارنها بمفاهيم الغرب المعاصر هنا يجد ان الغرب يعتبر بعض الافكار والكلام والنوايا شرا بحد ذاتها في حين ان

البوذية والتاوية وكتاب أي جنك يعتبرون ان هذه الامور كنواتج لعدم الفهم وعدم الدراية وليس كناتج للشر، ويعتقدون ان الشخص المبارك بالمعرفة والشخص المتنور لا نجده يندفع نحو ايذاء الاخرين أو ايذاء نفسه فمعظم حكماء الشرق يأمرون بقبول سعيد للحياة ويتنبؤون بالتعاسة لاولئك الذين يسبحون ضد تيار الظروف أو الذين يحاولون التدخل في عمل القوانين الكونية من اجل الحصول على مكاسب مادية لانفسهم، اما بالنسبة للجنس فالعلاقات الجنسية في الغرب تعتبر بالمسيحية شرا كبيرا في حين أن الفهم الصيني والشرقي عموما يجدها ادعى إلى الرفض والتصنيف فحكماء الشرق الاقصى يعتبرون هذه العلاقات الجنسية سيئة إذا اثرت سلبا على احد الطرفين أو اساءت الى الاخرين وتصبح العفة امرا يتعلق بالاخلاق عندما يكرس شخصا ما حياته وجميع طاقاته إلى تحقيق الهدف الاسمى - الاستنارة واستيعاب تعاليم تاو أو أي تسمية اخرى لهذه التعاليم، وهذا يعني ان الجشع وحب المال والتدخل في سعادة وسلام الاخرين امران لا يمكن جمعهما مع ابسط امور التقدم الروحي.

اذن وبشكل عام يجب على من يستخير أو يستشير كتاب الأي جنكان يكون بعيدا كل البعد عن الخداع والرياء وحب الذات والجشع

ويجب ان يتبع اسلوب حياة يخرج فيه الجشع تدريجيا مثلما يخرج الهواء من بالون.

اما التقنيات الفنية وطرق استشارة الأي جنك قديما وحديثا فيمكن القول انها على اربعة تقنيات أو طرق كما يتحدث عنها سمير سرحان في مجلة المعرفة حيث يقول (ليست هناك طريقة واحدة فقط لاستخراج السادوس الموافق للحالة المعروضة والمطلوب الاستشارة فيها، بل ان هناك طرقا مختلفة اولاها وتسمى الطريقة القديمة تتلخص بتمرير قضيب من الحديد المحمى على درع سلحفاة ثم استخلاص السادوس من خلال قراءة الاخاديد المتكونة بفعل الحرارة، ولقد ذكرت كتب سلالة هان هذه الطريقة انما دون ان تورد كيفية فك الرموز لاستنتاج التكون الهندسي منها وتحديد السادوس المطابق. وثاني هذه الطرائق طريقة معقدة وصعبة وطويلة تستغرق اكثر من عشرين دقيقة اعتبرها الصينيون القدامى الوقت اللازم والفترة الضرورية لتقنية الذهن وتصفية العقل وتركيز الفكر وتحضير المخيلة قبل قراءة التفاسير و لذا سميت طريقة الحكماء، وتتلخص في تنقيلات قصدية وتحريكات عفوية لخمسين ساقا من سوق نبات الحزنبل. وثالث هذه الطرائق طريقة بسيطة ويسيرة لذا فضلها

الناس على اخواتها فشاعت بين اكثر المستخيرين وتتلخص في رمي ثلاث قطع نقدية يعطي احد وجهيها رقما فرديا والوجه الاخر رقما زوجيا ست رميات متتالية تحدد كل رمية منها خطا من خطوط السادوس فاذا كان مجموع الرمية رقما فرديا يكون الخط متقطعا (ين) وإذا كان مجموعها رقما زوجيا يكون الخط متصلا (يانغ). واما الطريقة الرابعة فتتلخص لتعيين السادوس وتحديده بمجرد معرفة الحالة أو الاطلاع عليها وذلك باستلهام قرائن الوسط المحيط، النوافذ، الابواب، الكراسي وما شابه أو كثنيات الابواب أو الوسائل أو السجاجيد اوما شاكل كتجعيدات الوجه أو اليدين اوماماثل، وهذه الطريقة لا تتسنى سوى للضليعين في الآي جنك ولذا سميت طريقة الاقطاب وهذا كله مفهوم ومعقول لكن ما يحير العقول ويدوخ الرؤوس هو هذا السر الغريب الذي يجعل كلا من الطرائق تقع على السادوس الموافق والمطابق للحالة وليس على غيره، انه هذاالسر الذي يجعل الرميات الست لضابط في الجيش جاء يستشير الآي جنك في مستقبله تقع على السادوس الممثل لزواج الابنة الصغرى وهكذا على الدوام، فاما الصينيون فقد قالوا بانه بما ان حركات وتغيرات السواديس تشكل بشكل سري حركات وتغيرات الكون فان هذا ناتج

عن تاثيرات كونية تسقط على كل من درع السلحفاة وحيوان الحزنبل والقطع النقدية وبعيدة القطب وذلك لا ن اصولها تنتمي إلى مملكة الطبيعة المقدسة فالسلحفاة تنتمي إلى مملكة الحيوانات المقدسة والحزنبل ينتمي إلى مملكة النباتات المقدسة والقطع النقدية إلى مملكة المواد المقدسة والقطب الى مملكة البشر المقدسين كما ان كلا من هذه الكائنات الاربعة تمثل الانموذج الاعلى لمملكتها فهي مشتقة من نبع الحياة الذي يغذي وليس من مجراها الذي يتغذى ولذا فهي مقيمة في كل حياة النهر وهذا هو السر الذي يدعو التاثيرات الكونية إلى ان تسقط عليها وليس على سواها مما يجعلها تقع على السادوس الموافق و ليس على غيره ةواما العلوم العصرية فتقول بلسان علم النفس الحديث بان هذا السر راجع إلى دافع الفعالية الكامن في خافية كل إنسان – اللاشعور – والذي يتحكم في ارتجاجات واهتزازات يد المستشير في حالة اتباع الطرائق اليدوية وفي بعيدة القطب في حالة اتباع الطريقة الاستلهامية مما يؤدي إلى الوقوع على السادوس المطابق للحالة المعروضة فان الاعتقاد بالآي جنك هو الاعتقاد بالقوى الإنسانية التي تؤثر في الكون وتفعل في الطبيعة فتؤثر عليها وتغير العالم.

لا شك ان مراجعة الامكانيات النظرية لتشكيلات (الأي جنك) الاربعة والستون يقودنا إلى التفكير بطريقة حسابية أو هندسية، فاذا كان البالغ يمثل خطا متصلا والين يمثل خطا متقطعا وهما أساس تشكيل السواديس فلا نستطيع ان نشكل من هذين الشكلين الاحتماليين فقط هما بهذه الصورة -- فاذا ما زدنا خطا ثالثا اصبحت امكانية التشكيل كالاتي.

☷ ☶ ☵ ☴ ☳ ☲ ☱ ☰

وهذه في الحقيقة كانت بداية الأي جنك ومن خلال تركيب كل ثلاثة فوق أو تحت مع كل ثلاثة تشكلت السواديس الثمانية الكبيرة. ان قاعدة ان عند اضافة كل خط سائد ينتج عددا مضاعفا من الاشكال فالخطين انتج اربعة والثالث انتج ثمانية والتركيب الكلي انتج ٦٤ شكلا هندسيا أما طريقة فهم الواضع الاصلي المفسر لهذه الاشكال التي ترجع إلى الملك وان فان التحليل يقود إلى اقتصاده على ٦٤ شكلا أو رمزا باعتبارها كافية تعبر عن موقفا أو ظرفاً يمضي من المواقف أو ظروف الحياة الانسانية فمثلا إذا مثل الشكل السداسي الارض في وضع علوي (اي على قمة الشكل السداسي) والسماء اسفلها فمن الممكن ان ينظر

إلى الاثنين كما لو كان احدهما يضغط على الآخر بقوة تناظر قوة الاخر فتحاول السماء ان تتحرك إلى الاعلى وتحاول الارض ان تتحرك إلى الاسفل فتوازن احداهما الاخرى توازنا كاملا ولذلك اطلق على هذا الشكل السداسي اسم السلاح (الانسجام) ومن الجانب الآخر إذا كانت السماء هي العليا والارض السفلى فسوف يتحرك الاثنان متباعدين في اتجاهين متضادين دون اتصال خلاق بينهما، وينظر إلى هذا الموقف باعتباره جمودا أو سكونا.

ويكشف هذا التفسير – كما يقول كولن ولسن – عن اننا نتعامل مع الدافع الخلاق للعقل الواعي ومع خاصية التلقي للاوعي، ذلك حينما يتحرك هذان الاثنان متباعدين فالظرف القائم في الحقيقة هو ظرف الجمود الكامل لكل حيوية، وقد يبدو هذا شيئا مرتجلا وسطحيا ولا استطيع ان اقول الا ان التعرف عن قرب على كتاب الأي جنك ورموزه سرعان ما يبدأ التكشف عن تماسك داخلي ملحوظ.

ان دور الحدس أو اللاشعور أو أي حاسة اخرى يمكن تلمس وجودها حتى عند القدامى في طريقة طرح السؤال وتحديد الجواب – يقول كلاي (سواء استخدمت عيدان التكهن أو القطع النقدية للحصول على الجدول السداسي الخاص بالاجابة فان الصعوبة الحقيقية تاتي فيما

بعد عندما نبدأ بترجمة الرد على ضوء السؤال المطروح وجميع الظروف المحاطة به، النجاح يعتمد إلى درجة كبيرة على تجربتنا ولكن الضرورة الأساسية تكمن في سماحنا للحدس ان يلعب دورا كبيرا في المنطق التحليلي، وفي حين ان سائر المراحل يمكن اتقانها عبر التدريب الطويل نجد ان الحدس يتطلب الممارسة وشيئا من الموهبة ومع ذلك يجب اتقان الجانب الميكانيكي من التفسير اولاً.

ويشير كلاي إلى طريقة للتدريب عليه فيقول بان احد الاساليب لذلك الاتقان تكمن في فتح كتاب الأي جنك عشوائيا من حين لاخر ودراسة النص في ضوء سؤال وهمي بدون محاولة تطبيق الحدس وعند تحقيق شيء معقول من المهارة في هذا المستوى فالخطوة التالية هي طرح السؤال الحقيقي باستخدام عيدان التكهن أو النقود وافساح المجال امام الحدس في ضوء الاجوبة.

ان بعض الناس سنجدهم تواقين لأن يستخرجوا الاجوبة من الجدول السداسي وتكوينه مباشرة وبدون مساعدة النصوص والتعليقات المرفقة ومن اجل الوصول إلى هذه المهارة المتقدمة سيتطلب سنوات عديدة من التدريب وكتاب الأي جنك يشرح الخطوط بشكل تفصيلي

للغاية تتعدى صفحاته الاف اواكثر، انه ليس هناك ما يمنع احدنا ان نجرب اللعب في هذا النمط من التفسير، وربما هناك شخص موهوب فوق الاعتيادي سيجد بعض النجاح عبر هذه الطريقة .

اما الباحثة الباراسايكولوجية وذات الموهبة في هذا المجال انا هيدهوفمان فاننا نراها في كتابها التدريبي (تطوير المهارات الفنية) بعد ان تشرح طريقة استخدام الأي جنك حتى إذا وصلت إلى الاجوبة نراها تقول (عندما ترجع للنص لقراءة شكلك السداسي انتظر لحظة لتعميق حالة الاسترخاء والتامل التي تم تحفيزها من خلال معالجة العملات (او عود البارن التي تعد الافضل) اقرأ النص بتان بغية الخروج بنتائج أو خلاصة منه وإذا كانت هناك اية خطوط (متغيرة) اقرا النص الخاص والذي يتلاءم معها هناك مناطق يكون تطور الوضع فيها الاكثر تدفقا وعليه فانها اكثر عرضة لنفوذك اجلس لوهلة مع التصورات والافكار التي قراتها توا، وتمعن فيها وكانك تعيد حلما رايته عندما تجلى في الصباح بعد ذلك اكتب نتيجة ما اوحي اليك بوضوح قدر الامكان، وبغية استيعاب الأي جنك عليك اولا ان تضع اسئلتك بوضوح وتتمثل احدى هذه الطرق في طرح امنية معينة ماذا تريد ان يحدث...؟ بعدها

اسال عن حقيقة ذلك - أي ان ماتريده من الوحي هو الحقيقة حول ذلك الشيء الذي ترغب في حدوثه، تحتاج في بعض الايان إلى ان تتمعن في الردود ، وفي احيان اخرى تكون الردود من الوضوح بحيث تجعلك تندهش لكن الأي جنك تمثل في كلتا الحالتين بئرا هائلا من الحكمة العظيمة، إذ يصف مباديء السلوك المبني على الحكمة على رغم اختلافاتها في التطبيق من وضع لاخر.

وخلاصة القول ليس هناك ردود في الكتاب، بل انها توجد داخلك، ومهمة الكتاب هنا هي في خدمتك في تحفيز الحكمة التي توجد عندك وتحملها الى الوعي... وكل السردود التي تحتاجها موجودة داخلك أي في عقلك اللاوعي والأي جنك هو احد السبل الفعالة لحمل تلك الردود إلى السطح)). وانما كانت الاستخارة في العصر القديم تتركز على كلمة نعم أو لا فقط لذا كانت نعم تعني الخط المتصل اليانغ ولا تعني الخط المتقطع الين، فان هذه الخطوط تساوي مجموع النعمات ومجموع اللاءات التي يمكن ان تقال على أي ظرف استخاري أو استشاري ولما كانت ظواهر العالم كله تدور بين هذين الرمزين وتفاعلهما يقود إلى الاقدام على العمل أو الاحجام عنه بما يناسب هذا التفاعل، ولغرض

تسبيب بعض الاجابات وتوضيحها وتفسيرها للمستخير أو المستشير كانت الاضافات التركيبية لهذه الخطوط بعضها مع بعض وصولا إلى الشكل السداسي الذي يتحمل وجود ثلاث اجابات بنعم وثلاث اجابات بلا حسب الخطوط وفي تركيبه يعكس الموقف الاخير المنصوح به للمستشير.

فكأنما هذه الاشكال تعني اننا لو القينا ثلاث قطع نقدية متفق على اشاراتها السلبية والايجابية اليا نغ والين فان شكلا ثلاثيا واحدا سيغلب فيما إذا كانت النتيجة جمعه اكثر من الآخر فكل قطعة فيها نعم ولا والثلاث قطع تتحمل امكانية السقوط بست اشكال وكانما هناك امكانية نظرية لالقاء القطع مرة واحدة والحصول على شكل ثلاثي الذي هو أساس المساواة أو التفريق الاتحاد أو الاختلاف غلبة شيء على شيء أو تساويها.

ان كولن ولسن حينما يحاول ان يفلسف نظرة الأي جنك إلى الإنسان ونظرة الإنسان إلى الأي جنك نراه يتحدث عن الحاسة التي فقدها الإنسان ولم ينميها ومن ثم فقر الإنسان إلى وظيفتها في الحياة اليوم وخاصة في مسالة النظرة الحكيمة المرتبطة بالزمن المقبل زمن المستقبل

يقول ولسن [اننا نستطيع ان نمتلك (مسافات التقاط الانفاس) حينما نتمكن من اتخاذ وجهة نظر بعيدة منفصلة عن الاشياء لقد كان البشر جديرين بان يصبحوا كائنات اكثر قربا من الالهة لو اننا نظرنا إلى ما تعلمناه من لحظات البصيرة النافذة تلك باعتباره شيئا تتعلق به الحياة والموت، ولكن اكثرنا يستطيعون الانسياق مع تيار الحياة دون اتخاذ اية قرارات اخلاقية عظيمة وهكذا فان الجنس البشري لم يظهر أي تقدم في مجال الحكمة عبر ثلاثة الاف عام، هذه هي النظرة المتبصرة العميقة التي تكمن في قلب كتاب (الأي جنك) انه بوسع الإنسان ان (يختار) الا يتبع الجزء (الصغير) في نفسه، ان طريقة تاو ومنهجه منهج التواصل مع قدراته اللاواعية عن طريق التركيز الدقيق على اشياء متميزة بعينها، يفتح الطريق إلى مستويات تطورية اكثر سموا.

وكل من يقوم ببساطة بقراءة ودراسة كتاب (اي جنك) بينما هو يفكر في رموزه وافكاره متجاهلا في الوقت نفسه قدراته باعتباره وسيلة للتنبؤ والعرافة فانه سيدرك ان (هذا) هو اكثر مستويات معانيه عمقا واكثرها كثافة، انه مثل الموسيقى التي تولد حالة من البهجة الكثيفة

الغامرة من الابتعاد والانفصال الداخلي من الحصول على (مسافة التقاط الانفاس).

ولا شك ان الاحتمالات الرياضية لتكوين الاشكال ومحدوديتها بعدد محدد تثير اشكالا مقابل التنوع اللانهائي للمواقف الإنسانية واحتمالاتها فكيف يمكن احتواء حالات لا نهائية في حالات محدودة ولكن يبدو ان المحدود عدديا لا يقيد المطلق مهما كان عدده، فالمطلق يبقى على اطلاقه رغم انه يولد حالات محدودة أو جزئية متكاثرة يقول سمير طحان [ان تكاوين الأي جنك الهندسية مع كل ما اسقط عليها من اشكال ومضامين فكرية على مر العصور ليست قوالب تقولب الحالات اللامحدودة في حالات محدودة بل هي سبائك مصهورة تتقولب تبعا لحيثيات حالةالمستشير وحيث ان المستشيرين عديدون فان هذه التكاوين مع كل اشكالها ومضامينها محدودة العدد حسابيا الما لا محدودة تطبيقيا، انها منغلقة نظريا لكنها منطلقة عمليا، انها منتهية عدديا لكنها لا منتهية تعدديا في تتعدد وتتكاثر بقدر ما يتعدد ويتكاثر المستشيرون وكما انه من المستحيل ان يتشابه كائنان قلبا وقالبا فانه من غير الممكن ان يتشابه تكوينان شكلا ومضمونا واذ انه من غير الممكن ان تتماثل حالتان عرضا

وجوهرا فمن المستحيل ان يتماثل تفسيران ظاهرا وباطنا، هذه اللانهائية واللامحدودية هي التي جعلت من الأي جنك منجما للطرائق السحرية وهذه الكمولية والشمولية هي التي صيرت منه حقلا للعقائد الدينية وهذه الجوهرية والمطلقية هي التي اقامت منه حظيرة لتدجين وتهجين المذاهب الفلسفية وهذه الانسانية الكونية هي التي حولته الى مخبر للتجارب العلمية وكل هذه مجتمعة بوأته سدة اهم كتاب ادبي ظهر في التاريخ، فالتاريخ لا يذكر كتابا ادبيا وضعيا بشريا غير منزل أو ملهم أو موحى به الهيا كالأي جنك كان له وما يزال حتى الآن مثل هذا التاثير الكبير على المستوى الفردي والجماعي والعام إذ ان الأي جنك شغل اهتمام كل الفئات من مثقفين واميين وسحرة ومشعوذين ومتدينين وملحدين وفلاسفة ومتفذلكين وعلماء وجهلاء سواء بسواء].

ان استخدام الأي جنك لمفردة التاثير المتبادل والتفاعل في الكون بين كل من السماء والارض وما فوقها ومهما كان هذا التاثير صغيرا فلا يمكن انكار وجوده، هذه المفردة نجدها في حديث علماء العصر بشكل ادق يقول جان باري [علمتنا الفيزياء ان جسما ما لا يمكن يكون شيئا متوحدا أو منعزلا داخل الفضاء فالجسيم يمتلك حقولا الكترونية سكونية

حوله، وكذلك حقولا جاذبية، وحقولا مجهولة أيضاً تمثل إلى ما لانهاية، وتكون متضامنة تماما مع الجسيم ذاته. قال اينشتاين : "ان الجسيم ما هو الا منطقة (اكثر كثافة) من اي حقل يمتد عبر الكون ومهما كان بعده) وبطبيعة الحال فان الفعل يكون اقل عندما تزداد المسافة، إذ لا يكون الفعل معدوما تماما لهذا السبب، لكن أي جسيم من جسيمات الكون يؤثر أيضاً على البروتون ويقل التاثير بشكل سريع مع المسافة وهذا لا يعني ان لا يكون له تاثير مطلقا ةوالنتيجة فان البروتون المقصود يؤثر على الذي يكون خارجا عنه مثلما الخارج عنه يؤثر فيه وعلىالدوام ورغم كل شيء هناك ارتباط بين الواحد مع الكل، وينطبق هذاالمفهوم على الإنسان أيضاً، فالانسان هو امتداد مشترك لكون باسرة فله علاقة دائمة مع الفضاء الذي يحيطه لكن لحد هذه اللحظة لم نستطع معرفة ما هي تلك العلاقة وضروراتها ونعرف حاليا - وهذا مهم جدا - انها موجودة وانها يجب ان تؤثر على السلوك البشري وهذا التاثير بطبيعة الحال هو تاثير جسدي نفسي فالجسد يستلم ويخضع للقوة الارضية والفضائية دون امكانية ان يعزل نفسه ةوالنفس بدورها تستلم معلومات حواسية وهو ما نطلق عليه الاحساسات الفائقة، لكن النفس لديها

قدرات على مستوى الشعور، إذ يتوجب استكشافها ودراستها وعزلها عن داخل الجسد، والنفس ايضايمكنها ان تسقط ذاتها على لا نهائية الاصلاح والحقائق الفضائية للازمنة الماضية والمستقبلية فالفكر يسبق الفعل وكل ما يمكن تصور سيتحقق يوما ما على هذه الارض.

ان جان باري يضيف مستنتجا [في الحقيقة لاوجود للصدفة في عالم حيث يكون كل شيء متفاعلا ولا يوجد فيه سوى مشاركين... لقد وصلنا إلى اللحظة التي يمكن ان نؤكد فيها ان العقل يعد علبة من الموجات والجسيمات اذن فالفكر يمكن ان يؤثر عن بعد، او ان يكون على علاقة دائمة مع موجة - جسيم اخرى مشابهة فاذا اصبح احدهما حاملا للمعلومات فان الآخر سيعلم في الحال مهما كانت المسافة الفاصلة بينهما، لقد اقترح عملاق الفيزياء الكمية فارنر هايزنبرج وجود شيء فوق مادي قادر على الوجود ذاتيا وان يتحول الىمثل هذه أو تلك الجسيمات الاولية ' وبعد ان يذكر باري التنافض المعروف بتنافض اينشتاين - روزين حول الجسيمات المتخاطرة أو تبادل المعلومات بين شعاعين كانا متضامنين وافترقا فالذي يؤثر على الاول يتاثر به الثاني رغم بعده عنها بالآف الكيلومترات بعد هذا يعود باري الى للاستنتاج

(وهكذا فان الاونيشادات ونظر والآي جنك الصيني "التنبؤ بواسطة العيدان" فالعيدان بسحب ما تكون - مفردة أو مزدوجة - تؤدي عنصرين من علامة، وكل علامة مؤلفة من ستة عناصر ثمة اذن ٦٤ علامة في نظام الرموز الخاص بهذه العرافة، وتمتلك كل علامة معنى محددا أو بطبيعة الحال يجب ان نعرف ما هي تلك المميزات التي يعملها كل ذلك والتعرف على جزء من الحقيقة التي نعثر عليها هناك).

ولو ربطنا هذا النص بتأكيد باري الآخر وهو [ان الإنسان يكون مزودا بشكل طبيعي بامكانية التنبؤ بتطور الاشياء في المستقبل وهو يستخلم عقله لذلك إذ سيدله بشكل دقيق أو حلسي عما سيحدث انطلاقا مما هو كائن، ولكن هناك أيضاً التجربة الميتافيزيقية التي تفهمنا ان الكائن البشري الذي يتخلى عن اية وسيلة استدلالية ظاهرة، يكون قادرا على ان يعي ما سيحدث دون الاعتماد على ما هو كائن في الافل حين نتناول هذا التعبير بمعناه المالوف (حينئذ يقصد بالامر طريق حي مسبق أو طريق احساس داخلي) فمنذ بداية الامر كان هناك الكثير من الادلة التي تقودنا إلى اعتقاد ان الامر يتعلق بخيالات اعتباطية لكن - وهذا بعد تكملة لما تقدم إذا صح القول - ربما يكون مفيدا ان نذكر ان الفعل

النفسي الحركي لدى شخص ما يمتد إلى اهداف متباينة تماما وبالتحديد من دون استخدام أي اسلوب خاص بجسده ذاته، ويكون قادرا على ايقاظ قوة محركة حقيقية لا ارادية لدى امثاله ان هذا معناه ان اللاشعور أو أي تسمية اخرى باراسايكولوجية يستحق استمثاثا للوصول إلى قدرته التنبؤية ولا شك ان الأي جنك هو من الطرق التي تحدث عنها باري.

وفي نهاية هذا الامر لا يسعنا الا ان نستفيد من ملاحظة سمير طحان المتعلقة بالحكم على نتائج الاستخارة لأي جنك حيث يقول (ان استخلاص الحل أو عدمه لا يتوقفان على الأي جنك لأن الحلول فيه كثيرة ولكل مرحلة حكمها ولكل حالة لبؤسها وانما يتوقفان على القدرة الذهنية والقوة الفكرية على استكناه الحل للمستخير تماما كما ان سعة الرؤيا أو ضيقها لا يتعلقان بالفضاء، فالافاق بعيدة والسماء منقشعة، وانما يتعلقان بقوة الابصار فعلى ما يدلي دلوه في بئر الأي جنك فيخرج دلوه فارغا ان يعلم بان هذا غير عائد ولا يدل على جفاف البئر وانما هوراجع ودليل على قصر حباله لأن الأي جنك يريك ما فيك ، فاذا كنت ضحلا نجاك من الضحالة ونقلك إلى الاغوار لتتعمق واما إذا كنت عميقا فانه يوصلك إلى القيعان لتعمق والحكيم هو من يعمق ويتعمق).

لا شك ان كثيرا من الباحثين الغربيين والعلماؤء التجريبين ينظرون إلى كتاب الاي جنك على انه كتاب فال قد يصيب ويخطيء، وقد ينظرون اليه على انه نتاج الإنسان اللبدائي وتطلعه لمعرفة الغيب وديانته وطقوسه السحرية الساذجة الغامضة لذا فقد يسخرون ممن يتحدث عن هذا الكتاب بجدية وهذا ما صادفه العالم النفسي الكبير يونغ حينما تحدى العلماء واعلن ايمانه به وكذلك بعض مترجمي الكتاب إلى اللغات الاخرى، ومن الطبيعي ان يقف هؤلاء الباحثين والعلماء المعارضين له موقف السخرية ممن يستشيرون الكتاب ويتهمونهم بالتخلف واللاعقلانية بسبب عدم وجود تفسير علمي يمكن الا ستناد عليه في تفسير عمل هذا الكتاب، فليس هو كتاب فلك و تنجيم ليمكن القول بان هناك تا ثيرات لحركة الافلاك ومواقع البروج على حياة الانسان وليس هو كتاب سحر ليمكن تفسير قابليته الغامضة بغموض السحر نفسه وليس هو رياضيات أو اعداد تبنى عليها حسابات كحسابات الفيثاغورس أو من يقدس الارقام المعينة ويعتقد فيها الخير او الشر ولا يمكن ارجاع الاي جنك إلى الفراسة أو قابلية نفسية أو لا شعورية فهو

يتحدث عن حركة الطبيعة وانعكاسها الموضوعي على الحياة عموما والحياة الفردية خصوصا.

ولو حاولنا ان نعدد كل اساليب التنبؤ بالغيب والاستخارة فاننا لن نجد لهذا الكتاب شبيها سوى في صفة واحدة يجتمع به الكتاب مع السحر والعرافة والكهانة والطقوس التنبؤية للاحلام وقراءة جلود وامعاء الحيونات، هذه الصفة هي الغموض وهي صفة لا تفسر لنا شيئا ولا تضيف إلى اسرار الغموض جديدا.

ولكن مع كل هذا المنطق العلمي والنظرة العلمية المتفحصة فان كل ما تعامل مع الكتاب وامن به لا يجد دفاعا تجاهه سوى القول جرب واحكم اسال الكتاب واسمع الجواب فان وجدت حقيقة وان لم تجد وهوغير ممكن فلك الرفض.

ولعل كل ممارسات التفكير العلمي لن تستطيع ان تجابهك لحقيقة اليوم اقوى من حقيقة التجربة فالتجربة التي لا يمكن تكرارها من قبل كل العلماء لتصل إلى نتائج مضامينها لا تعتبر تجربة علمية، اذن فكتاب الاي جنك خاضع للتجربة وتكرارها والوصول إلى النتائج المطلوبة من ثم

الحكم على مصداقيته من خلال التطبيق العملي والممارسةالواقعية لما يفترضه.

ان عدم ادراك وفهم سر هذا الكتاب والالية التي يعمل بها في تنبؤه تسقط حين من خلال التجربة ليعود الكتاب فيتمها بالجهل حيث اننا لا نستطيع ان نفسر هذه الالية بمنطقنا العلمي المتقدم و بحاسباتنا ورياضياتنا العالية وقوانين الصدفة الرياضية اذن فالكتاب يتحدى كل علماء العصر بمختلف تخصصاتهم ان يعرفوا سره ويكشفوا غموضه بناء على كل ما توصل اليه العقل العلمي التجريبي المعاصر، ولاشك ان منطق الكتاب هو منطق العلم المعاصر نفسه لانه يتحدث بالتجربة والممارسة الواقعية المتاحة لكل من يساله رغم انه لا يفسر لنا عمله وكيفية وقدرته عن الجواب الصحيح على السؤال الصحيح.

ان هذه القوة التجريبية هي التي جعلت يونغ يؤمن بالكتاب وهي التي جعلت كلاي وولتهام يترجم الكتاب بعد خوف شديد منه وهي التي جعلت ريتشارد وولهام يبقى عشر سنوات ليترجم هذا الكتاب با حثا عن اسراره دون الوصول إلى قراره.

ولنستعرض بعض تجارب هؤلاء العلماء وغيرهم والمشاعر التي كانت تنتابهم حينما يمارسون استشارته خفية خجلا من ان يوصف بالتخلف واللاعقلانية من زملائهم العلماء وصولا إلى الخروج على العالم بترجمة وافية له ومواقف تعلى على الملا دون خوف أو خشية.

حينما يعرض كلاي وولتهام تجربته مع الكتاب قبل ترجمته ومحاولة تفسير نصوصه يعرض هذه المسالة بتحدي امام العلماء الذين يصفهم بقوله [اما الغربيون فيسخرون منه ولا يصدقون بمحتواه لانهم لم يخضعوا لاختبار، وليست لدي وسيلة اقنع بها هؤلاء الابالطلب منهم أن يخضعوا قواه بكل اخلاص للاختيار].

ويصف كلاي مشاعره وهو يستشير الكتاب قائلا [صعقت بالمشاعر غير الاعتيادية التي تولدت داخلي من جراء استشارة هذا الكتاب وهي مشاعر تصب باتجاه ان اسئلتي تم التعامل معها وكأن انسانا حيا يجيب ويستجيب يملك بشكل كامل الحقائق غيرالمباحة في كل من السؤال والجواب في البداية تكون المشاعر مخيفة وحتى الآن اجد نفسي اتعامل وانقل الكتاب وكان له مشاعر قادرة عل الغضب إذا ماتم التعامل معها

بغير احترام اما كيف لجح هذا الكتاب في اعطاء اجوبة تولد هذا التاثير في النفس فلا اعرف].

ويصف كلاي المرةالاولى في لاستخدامه بقوله [ومن المرة الاولى التي قمت بها بذلك صعقت وشعرت بالخوف وكاني اتسلم اجابتي من إنسان يتنفس وليس من كتاب] وكلما استخدمت الكتاب بعد ذلك انتابني ذات الشعور الاول، ولكن الخوف تحول إلى ترقب مشوب بد قات عنيفة للقلب وانا لا اقصد هنا ان الصفحات البيضاء المغطاة بحبر اسود تأوي داخلها روح حية وقد ذكرت الفعل المدهش هذا الكتاب لاركز على الدقة المتناهية والشخصية في اجابات هذا الكتاب في معظم الحالات ولكن لو طلب مني ان اؤكد ان الصفحات المطبوعة لا تحوي روحا أو على الاقل تجعلنا نتصل بروح من خلال عملية غامضة ساجد نفسي في حيرة من امري وغير قادر على ان اؤكد سلبا أو ايجابا.

لقد اجرى كلاي ثلاث تجارب على الكتاب قبل ان يؤمن به في المثال الاول سال بشكل صحيح واجاب عليه بشكل صحيح في حين ان المثالين الاخرين يبينان الطريقة الفكاهية التي يردع بها الكتاب الاسئلة غير الصحيحة بحد ذاتها او المطروحة في ظروف غير صحية.

لقد بدا اهتمام كلاي بالكتاب في نهاية عام ١٩٦٢ وفي الوقت الذي بدات فيه العداءات بين الهند والصين في منطقة الحدود التبتية وقبل مـرور مدة طويلة صارت الصحف في بانكوك حيث كان يعـيش انـذاك تـتكهن بان الجيوش الصينية سوف تستمر في تقدمها السريع وتنزل سـهول الهنـد وربما تحتل مدناً رئيسية هنـاك وهنـاك قبـل ان يـستطيع اصـدقاء الهنـد ان يتقدموا لنجدتها، الا ان الرأي المعاكس لم ينـشر في الـصحف الـتي اطلـع عليها كلاي. ولانه كما يقول كان سعيدا في كـلا البلـدين الهنـد والـصين وكانت مشاعره مع الشعبين وجد نفسه منزعجـا للغايـة . وهنـاك جاءتـه فكرة استشارة كتاب اي جنك لاول مرة، ويقول بان الجواب كان مناقضا تماما لتكهنات سائر الناس إلى حد جعلني ادون الاجابة كلمـة بعـد كلمـة كوثيقة ، لقد اجاب الكتاب ان جيـشا في الـتلال - الـصين - كـان يطـل على سهول فيها اهوار - الهند - فإذا كان قادته حكماء يجـب ان يوقفـوا هجومهم يوقفوهم في اللحظة التي يكون كل شيء فيها يسير على ما يرام بالنسبة لهم وان يمتنعوا عن التقدم وربما الانسحاب مع بعض الامـاكن... والمفاجأة ان هذا ما حدث بعد مضي اسبوع أو اسبوعين بالضبط.

لقد قدم كتاب الاي جنك اسبابا لهذه النصيحة منها ان خطوط المواصلات طويلة وبعيدة عن الامان والسلامة وان الخصم الهند سيتلقى مساندة قوية من الاصدقاء وان القيمة الاخلاقية للتوقف عن الهجوم والتقدم قبل ضرورة التوقف عن الهجوم والتقدم ستكون اعظم على المدى البعيد من انتصارات عسكرية جديدة هذا بالاضافة إلى عدة اسباب اخرى، ويتذكر كلاي ان كل نقطة من هذه النقاط تم مناقشتها في الصحف التي راحت تحلل خطوة الصين غير المتوقعة، ويذكر دهشة اصدقائه عندما عرض عليهم ما كتبه قبل الصحف. وإذا ما قيل ان دقة الاجابة تعود إلى ترجمته الدقيقة للكلمات الفعلية تحت الجدولين السداسي والخطين المتحركين ضمنها فان الاجابة تكون انه لم يكن اصلا يتوقع أن يطلب الصينيون التوقف للاسباب المنطقية خلف ذلك لذا فليس هناك توقع لوضع نفسه في موضع الحكيم المتوقع. لقد كانت اجابة الكتاب في الجدول السداسي رقم ٤٨ زائد خطوط متحركة في الموقع الاول والثاني من الجدول بالاضافة إلى الجدول السداسي رقم ٦٣ والذي ينتج عندما يتحرك الخطان ويصبحان نقيضهما.

اما كيفية تحليله للمعطيات فيقول بان الجدول السداسي ٤٨ يمثل بئرا ومعلوماته الشخصية حول الحدود الهند وتبتية حيث ينزل سفح الهملايا بقوة نحو سهل الهند الشمالي ادى إلى اعتباره الهند البئر و الصين هي التي تنظر اليها من فوق. ومن ضمن الجدولين الثلاثيين نجد احدهما يعني (طفيف) والاخر (ماء) فاعتبر الماء محتوى البئر (سكان الهند)واعتبر طفيف المعبر الحقيقي من سياستهم المعلنة في الاستبعاد عن العنف والسير على الحياة وعليها اقتنع ان البئرفعلا يمثل الهند وما جاورها باستثناء الحدود مع الهملايا، اما التعليق المرفق بالجدول السداسي فكان يحوي ثلاثة افكار منطبقة على حال السؤال، فكرة تقول ان البئر لن يزيد أو ينقص منه شيء وهذا يعني ان الهند لن تفقد المزيد من الاراضي والفكرة الثانية تقول ان الحبال قصيرة وهذا يعني ان الصينيين لا يستطيعون ان يمدوا خطوط المواصلات اكثر خوفا من انكسار (انائهم)وهذا يعني احتمال تعرضهم إلى خسارة رئيسية وبعدها تفحص التعليقات التي تخص الخطين المتحركين (الخط الاول والخط الثاني) فكان التعليق على الخط الاول ان المزيد من التقدم الصيني لن ينجح وان الوقت قد حان للقيادة الصينية ان تتوقف مثلا أو تنسحب قليلا اما التعليق على الخط الثاني

المتحرك فيشير إلى انه بالاضافة إلى السبب الاول في ضرورة التوقف وهوسبب تكتيكي هناك سبب استراتيجي أو سياسي وهو عدم قدرة الصين على كسب ود جيد من سائر الدول العدوة أو الصديقة او المحادية اما التعليق الاساسي في الجدول السداسي رقم (٦٣) فقد اكد الاستنتاجات التي توصل اليها كلاي حيث جاء في الجملة الاخيرة (من الواضح ان الخط سيخالف البداية ولكن في النهاية ستوقف عند انسحاب المباركة الالهية) وهذا يعني ان تقدم الصينيون بدون مساندة معنوية سيؤدي إلى كارثة.

لقد كانت هذه الاستشارة الاولى والاختبار الاول للكتاب من قبل كلاي حيث فوجيء مفاجئة كبيرة لأن الجواب كان غير كل كما كتبته الصحف وما اعلنته وتوقعته وسائل الاعلام وكان جوابا واضحاً عسكريا مبررا بدقة وهنا فكر كلاي ان يترجم الكتاب وتنبؤاته واخذه الزهو بنفسه فاراد ان يسال الكتاب هل هو مؤهل لهذا الغرض كمترجم وهل يستطيع ان يؤثر على اصدقائه المؤمنين لهذا الكتاب من خلاله فكان جواب الكتاب : هل تعتقد بان لديك هذه المواصفات وجاءت الاجابة

كصفعة مؤلمة وكانها قد جاءت كما يقول كلاي من شخص احترمه واحترم رايه.

اما اختباره الثالث فكان في وسط كله يسخر من الكتاب واراءه وكان هو ومجموعة اصداقائه في بيته يشربون الخمر فلم تكن هناك الجدية الاخلاقية المطلوبة وهذا كان جواب الكتاب يدعو إلى السخرية من السائلين يقول كلاي (من ذلك تعلمت درسا ان كتاب التغيير الاي جنك ليس بكتاب بكتاب للتسلية أو الاستخفاف وهكذا وضع شروطا اخلاقية لاستشارة الكتاب ومعاملته با حترام.

أما الممارسة الواقعية الثانية التي نذكرها فهي للكتاب الباراسايكولوجي ستان كوش الذي يصف الكتاب بانه (بيان غير علمي للقوانين التي تحكم حاضر ومستقبل حياة كل فرد على هذا الكوكب ويبدو ان مؤلفي هذا الكتاب باستخدامهم الحدس الذي يبدو أن لا علاقة له على الاطلاق بالعلم والموضوعية توصلوا لمعرفة القوانين والعلاقات التي تحكم سير حياة الفرد على كوكبنا وطبعا يبدو ذلك مستحيلا ولكن الدليل يكون بالتجربة).

اذن فالعلماء مجتمعون على ان التجربة هي خير دليل لفحص مصداقية هذا الكتاب ويضيف ستانكوش انه يمكن الحصول عن طريق هذا الكتاب على تحليلات مفصلة لمشاكلك الحالية وعن كيفية حلها وتحليل وتفسير الحوادث المستقبلية التي تحددها انت أما التحليلات والتعليقات التي يمكن الحصول عليها من كتاب اي جنك كي يقول كوش فهي ليست لباسا يمكن تشكيله أو تكيفه كيفما شاء فالكتاب يقدم لك تعبيرات خاصة وكأنها نفس التعبيرات التي تستخدمها انت بنفسك وكما هو الحال بالنسبة للشيء الخارق فانه ليس هناك امل في اقناع أي شخص بتجربة شخص اخر إذ انه من الضرورة تجربة الامور بنفسك اولا.

ويضيف كوش ان وجود مثال أو مثالين يمكن ان يضيء الطريق امامنا احد تلك الامثلة التي قدمها له الدكتور مانغريد لوكارد صاحب القوة الخارقة المعروف دوليا. حيث كان الدكتور مانغريد لوكارد ينتظر هو وبعض اصدقائه في بيت خاص بانتظار أحد المحاضرين الذي كان سيتحدث اليهم عن بعض المواضيع الخارقة ومضى الوقت المحدد لحضور المحاضر الا انه لم يحضر ولم يرن جرس الهاتف ليعلمهم عن سبب غيابه ومن اجل تمضية الوقت اقترح الدكتور (لونكارد) ان يوجه الاسئلة

لكتاب (أي جنـك) عـن سـبب هـذا التـاخير وعنـد ان وجهـوا سـؤالهم للكتاب حـصلوا علـى الاجابـة التاليـة: البغـل عنيـد البغـل لـن يـذهب وبالصدفة وصل الحاضر وبعد وصوله إلى الباب اعرب قائلا: ذلك البغـل اللعين للدراجة النارية اسقطني ارضا وبعد ان ضحك الجميع وشرحوا له الامر قال الحاضر انه لم يسبق لها بدا ان اطلق اسم البغل على دراجته وقد روى ستان كوش هذا المثل الواقعي عن الاخرين

اما تجربته الشخصية فيقول المثال الاكثر غرابة انني قمـت باسـتـشارة أي جنك حول وضع عملـي الحـالي الـذي كنـت أمقتـه كـثيرا اخبرنـي الكتاب بان عملي سوف لن يتغير ولن يحدث أي شيء انا بانتظاره وكمـا هو الحال بالنسبة لجميع الامور حـدث مثـل مـا ذكـره الكتـاب بالـضبط ولكنني يقول ستان كوش لم ارغب تـصديق حكـم أي جنـك وخاصـة في هذا الامر بالذات وفي خضم غضبي واستيائي حدثت نفسي انه عـسى ان يكون ما ذكره الكتاب ليس له معنى أو شيء من الصحة واقنعت نفـسي متحججا انه كيف يكون لهذه الكلمات المطبوعة في كتاب قـديم جـداً ان تحدد لي مستقبلي أو خاصة مستقبل لا ارغب به؟ وعدت لاسال الكتاب من جديد؟ ما هو مستقبل عملي الجديد ورميت النقد المعدنية مرة اخرى

وحصلت على القراءة التالية : الصبر على العمل يجلب الحظ السعيد واعطاني محاضرة عن فوائد الصبر وفي مناسبة اخرى في (موضوع صعب الحكم عليه) حصلت على قراءة من الكتاب بدت لي غير ذات معنى وغير مناسبة اطلاقا وايقنت في ذهني انه ربما حدث خطا في بعض مراحل سؤال الكتاب وكررت العملية مرة اخرى الا اني حصلت على نفس الاجابة بالضبط الا انني لم اقتنع مرة اخرى وبعد مدة جربت مرة ثالثة الانني حصلت على القراءة التالية (اذاكان السائل لجوجا ويعيد السؤال عدة مرات فان الوحي يرفض الاجابة على اسئلته وهنا ما يثير ستان كوش مسالة طالما ناقشها اكثر الذين استشاروا الكتاب فيقول وهنا خامرني الشك هل ان كتاب أي جنك كائن حي؟) ويروي ستان كوش تجربة واقعية اخرى عن استشارة الكتاب ففي عام ١٩٧٦ ارسل الي نسخة مترجمة من كتاب اي جنك من دار للنشر التي يعمل لديها كقارىء مستشار، ففي بادىء الامر يقول كوش كنت اشك في هذه النسخة ولكنني عندما امعنت في قراءة هذه النسخة المترجمة ترجمة (ريتشارد ولهام) ازداد شغفي في هذا الكتاب وجراء ذلك اوصيت بنشرة بعدها خطرت لي فكرة، لماذا لا اسال كتاب اي جنك عن النسخة المترجمة ترجمة ريتشارد

ويلهام ما رايه بهذه النسخة؟ رميت العملات النقدية الثلاثة وحصلت على رقم ٤٨ والذي اشار اليهاسم اي جنك الجيد و هذا يعني ان الكتاب ذكر لي نعم انا اي جنك الحقيقي والرقم الثاني الذي حصلت عليه هو ٤٦ نبتة جديدة للنضوج. وعند هذا الحد قلت لنفسي ما هو الجواب الاكثر اقناعا من هذا... وقررت نشر النسخة مرفقة بتقرير كتبته ذاكرا الحوادث التي ذكرتها اعلاه.

وهكذا يلخص ستان كوش إلى ان التركيب الداخلي للكتاب يبقى سرا غامضا بالنسبة له، الا ان الهيئة الخارجية للكتاب يمكن ان توصف بانها سلسلة من النماذج على هيئة خطوط متكاملة واجزاء متقطعة ولكن هذا لا يفسر أي شيء عن كيفية عمل الوحي في هذا الكتاب، ويبدو لي كما يقول كوش ان للصينيين القدماء حكمتهم الموثوق فيها وبطاقاتهم الايحائية القوية بحيث تمكنهم ان يقولوا وبكل قوة ان ذلك كذلك وانه لكذلك فعلا.

ويعتقد كوش ان بامكان اي شخص ان يوجه الاسئلة إلى (اي جنك) اذا ما طبق قوانينه وقواعده بشكل مضبوط، اما قوانينه الأساسية

فهي توجيه السؤال مرة واحدة فقط والجواب الذي نحصل عليه هو الجواب الصحيح.

أما النموذج الثالث من الممارسات الواقعية للعلماء والباحثين في الاي جنك فهو كولن ولسن ولا شك ان باحث موسوعي بالظواهر الخارقة والخفية يذكر ولسن في كتابه الإنسان وقواه الخفية تجربته مع الاي جنك فيقول [اما عن تجربتي الشخصية مع كتاب (اي جنك) فانها بالتاكيد قد دفعتني الىالتعامل معه ربما باعتباره اكثر من تلك الاعمال وابلغها اثرا . لقد صادفت هذا الكتاب لاول مرة في تلك الفترة التي تحدثت عنها من قبل بالفعل حينما كنت اسكن في ويمبلدون. ومن الواضح ان اول ما قد يطمح كاتب مبتديء ان يستشير الوحي بشانه هو مستقبله بوصفه كاتبا انه يطلب (نبوءة بعيدة المدى) اخذت ثلاث بنسات والقيتها إلى الارض ست مرات وفي كل مرة كانت هناك غالبية من الرؤوس مكونة شكلا سداسيا صنع من ستة من خطوط يانغ وهو السداسي الاول في الكتاب الذي يصحبه حكم يقول : يصنع المبدع النجاح السامي، فيمعن عبر البقاء والحفظ مصونا ' وفي مئات المرات التي استشرت الوحي فيها منذ ذلك الحين لم تخرج لي قط العملة الثلاث ابدا

بستة رؤوس مكتملة، ومن الواضح اني كنت مدفوعا الىالاقتناع، والمرة الوحيدة الاخرى التي رايت فيها قطع العملة الثلاث وهي تسقط بهذه الطريقة كانت حينما قام الكاتب بيل هوبكينز لاول مرة باستشارة الوحي، قال بوقاحة ونزق "إذا خرج بحكم جيد سوف اؤمن به اما إذا لم يفعل فلن اؤمن" وانجز الوحي ما كان يتوقع منه فخرج السداسي الاول مرة اخرى انني لا اتذكر بوضوح سوى مثال واحد اخر فحسب لدقة الكتاب منذ ذلك التاريخ فقد حدث في ويمبلدون ان استشرته بشان الرجل العجوز الذي كنا نعيش معه، الذي كان رجلا يتقلب بين الجاذبية الساحرة اللطيفة والخشونة البالغة، وكان السداسي الذي حصلنا عليه وهو صانج أي الصراع مع حكم يقول : الصراع و انك مخلص. تعترض طريق العقبات، وقفة حذرة في منتصف الطريق تجلب الحظ الحسن، انها لا تدفع المرء إلى عبور المياة العظيمة" وقد دلني هذا على ما كنت ابغي معرفته بالتحديد، وهوان كان ينبغي علي ان ابرح ذلك المكان باسرع ما يمكن أو ابقى فيه "وقفة حذرة في منتصف الطريق تجلب الحظ الحسن، الانطلاق إلى النهاية القصوى يجلب سوء الحظ، لم يمكنني الن احدس ماكان القصد بالاشارة إلى (الرجل العظيم)، ولكن النص يوضح ان

الرجل العظيم لا يشير الا إلى ' رجل نزيه مجرد من الهوى، تبلغ سلطته حدا كافيا من الضخامة لانهاء الصراع ' وكان الرجل الوحيد الذي نعرفه من هذا النوع هو شقيق المريض الذي تشرف زوجتي على تمريضه، وبناءا على ذلك قمنا باستشارته وشرحنا له المشكلة ولقد نجح حقا في تلطيف الامور لمدة قصيرة، اما بالنسبة لعبور المياه العظيمة فاننا كنا نفكر في الانتقال عبر نهر التعير عائدين إلى شمالي لندن حيث كنت اعمل، واثبت الوحي انه على صواب في هذا الصدد أيضاً فقد ساء الموقف بسبب انتقالنا إلى (ايرلس كورت) بعد موت الرجل العجوز. ولكن السطر الاخير كان هو اكثر ما اثر فيَ هذه المناسبة بالذات، كنت قد حصلت على ثلاثة رؤوس من قطع العملة الثلاث، وعلى ذلك فقد كان معنى التعليق المطبق على هذه الحالة تسع مرات عند القمة هو حتى إذا ما وهب المرء - بالصدفة - حزاما من الجلد فانه عندما يقترب الصباح من نهايته سوف يكون قد انتزع منه ثلاث مرات وكانت واحدة من اكثر عادات الرجل العجوز اثارة لحنقي هي ان يمنح زوجتي بعض الهدايا حينما يكون رائق المزاج ثم يستعيدها مرة اخرى بل وقد يمنحها لشخص اخر.

ومن الواضح ان السطور المذكورة في كتاب الاي جنك انما تشير إلى عملية منح المرء وساما من جانب الملك فقد كان الحـزام الجلـدي مقـابلا للوسام أو للنوط ولكنه تطابق مع موقفنا بالتاكيد.

واذا كان لنا ان نستعرض كل الممارسات الواقعية لـدى العلمـاء في كتاب الاي جنك فاننا لمحتاج لمساحة كبيرة ونكتفي الآن بذكر يونغ الـذي هو اشهر من درس الكتاب على ضوء علم النفس وطرح مفهوم التزامنية كتفسير لعمله - حيـث وصـف يونـغ - في مقدمتـه لكتـاب الاي جنـك المترجم انه استشاره في طبعته الجديدة التي كان سـيقدمها للعقـل الغربـي وكانت اجابة الكتاب هي تينج أي المرجل وهو الذي يصفه التعليـق بانـه قارب في للطقوس الشعائرية يحتوي على نوع روحي من الغذاء - أي ان كتاب الاي جنك يصف نفـسه بأنـه شـبيه بهـذا القـارب بـل ان الـسطر الاخير وهو سطر بالغ القوة قد تنبا بالنجاح الذي لا يصدق والذي لقيـه الكتاب في امريكـا في ذلـك الوقـت حيـث اسـتمر بالانـتشار وفي سـوق الكتب بنفس القدر الذي يباع به الكتاب المقدس.

يقول التينج له حلقات من الزمرد

حظ حسن عظيم

لاشيء يستطيع الوصول إلى هذا المدى

يعني حمل بعض قبضات من الزمرد إلى (القارب) يصبح شيئا جديرا بالتوفير والاجلال العظيم ولكن اكثر السطور التي ابرزها يونج أهميّة كان كأن القائل.

تينج بسيقان مقلوبة

يؤكد ازاحة الاشياء التي تسبب الجمود والتوقف.

يضم الرجل محضية إلى اسرته من اجل ولدها.

فلا لوم عليه.

ويفسر يونج هذه السطور بانها تعني ان كتاب (الاي جنك) يشير إلى نفسه باعتباره مرجلا أي (قاربا مقدسا) لم يستخرج منذ مدة طويلة (اي انه ترك مقلوبا) ولكن السطور الهامة هنا هي تلك التي تشير إلى المحظية ' فالرجل يتسرى بمحظية حينما لا يكون لزوجته ابن) كذلك يقول يونغ في تعليقه ثم يستطرد مكملا " كذلك فان الناس يستغيثون بكتاب (الاي جنك) حينما لا يرون مخرجا اخر على الرغم من الوضع شبه الشرعي للمحظية في الصين فانها في الحقيقة لا تتمتع إلاّ بوضع انتقالي حرج بشكل ما، وهكذا هو الاجراء السحري الذي يقوم به الوحي اذ

يبدو كمبعوث لا يستخدم إلاّ لخدمة غرض اسمى وارفع وليس في هذا ما يدعو إلى اللوم رغم انه اجراء استثنائي ، وقبل أن نغادر يونغ لا ننسى أن نذكر ما ذكره احد البونغيين في بحث له تحت اشراف يونغ في كتاب الانسان ورموزه حيث أن مريضه هنري يحلم - والحلم وسيلة لتحليل النفسية والعودة إلى الجذور الاصلية لذات الانسان ولا شعوره عند يونغ فيرى صينيون يستشيرون الوحي في سبيل قتله ويأتي الجواب بالسلب حيث ينجو في الحلم. فيعرض عليه الدكتور النفساني المشرف على علاجه نفسيا أن يستشير الاي جنك لأنه كتاب الوحي الصيني الذي رآه فماذا يجد يقول الكاتب "بعد عدة اسابيع من دراسته للاي جنك نفذ هنري اقتراحي (بكثير من الشك) ورمى القطع النقدية، وكان ما وجده في الكتاب ذا اثر مذهل عليه وباقتضاب فان الوحي الذي احتكم اليه كان يحمل عدة اشارات لحلمه المثير للدهشة وكذلك اشارات إلى حالته النفسية عموما وبقدر كبير من التوافق (التزامني) لأن العلاقة التي دل عليها نمط القطع النقدية هي المنيع طيش الشباب. لقد وجدنا بين الاقوال الكثيرة الاخرى التي بدت وكانها تنطبق على هنري التحذير التالي" وبالنسبة إلى طيش الشباب فان أكثر ما يدعو إلى الياس هو أن يعلق

بخيالات فارغة وبقدر ما يتعلق الشباب بمثل هذه الخيالات الوهمية بعناد اكبر سيحل به الذل بصورة مؤكدة أكثر . لقد بدا الوحي وكانه ذو علاقة مباشرة بمشكلة هنري فهذه الامر ة لقد لامست رسالة الاي جنك اعمق اعماقه على الرغم من لغة الالغاز التي كان التعبير يتم بها. وبعد ذلك بفترة يحلم هنري بصورة خوذة وسيف يسبحان في الفضاء، فقام إلى كتاب الاي جنك وفتحه على غير هدى فاذا به ازاء تعليق على الفصل ٣ حيث قرا بكثير من الدهشة الفقرة التالية " التعلق هو النار انه يعني دروعا، وخوذا / كما يعني رماحا واسلحة ".

لقد علق كولن ولسن على كتاب الاي جنك بأنه واحد من أكثر انسقة المعروفة القمرية اثارة للاهتمام ومن المؤكد انه اكثرها سهولة وهو ايضا ينفرد بكونه متخلصا من الجوانب الضارة، فالدراسة المتعمقة فيه لن تؤدي إلاّ إلى الخير، ويقول عنه أيضاً لا استطيع أن اقول إلاّ أن التعرف عن قرب على كتاب الاي جنك ورموزه سرعان ما يتبدى عن تماسك داخلي ملحوظ وان مثل تلك المعاني لا تصبح واضحة إلاّ في ذلك الحين، في البداية تبدو مساحة المنظر الشاسعة غريبة متنافرة الاجزاء وسرعان ما

تـــــــصبح مالوفـــــــة فيـــــــلو كـــــــل شـــــــيء فيهـــــــا منطقيا ومعقولا.

أما يونغ فانه كان يتمنى أن يطول في عمره خمسين سنة لكي يكرسها لدراسة الاي جنك وهو ما تمناه كونفوشيوس نفسه رغم كل دراسته وشروحه وتعليقاته على الكتاب الذي كلن سرا وبقي حتى اليوم سرا.

التشابه والاختلاف بين الأي جنك وعلم الرمل لا شك ان هناك تشابها غريبا بين خطوط واشكال الأي جنك وخطوط واشكال الرمل فاشكال الأي جنك تتكون من خطوط متصلة وخطوط متقطعة و اشكال الرمل تتكون من خطوط متصلة ونقطة بدلا من الخط المتقطع ويبدو ان الصينيين لم يكونوا يعرفون النقطة ليستخدموها بدلا من الخط المتقطع، وكلا من كتاب جنك وعلم الرمل أو علم النقطة كما يسمى احيانا انما يقومان على أساس التنبؤ والاستخارة.

ان علم الرمل كما يقول البستاني هو علم يبحث فيه المجهولات لقصد استعلامها وموضوعه الاشكال الستة عشر... وهذه الاشكال تستخرج من النقط التي يرسمونها على قرطاس صفوفا منثورة فتشبه حب الرمل ولذلك يسمون هذا العلم به.. وحكم هذه النقط ان تكون

فوق الست عشرة تقديرا لا عددا فترسم سطرا واحدا ثم يرسم تحتها سطر اخر من النقط ينقص اوله عن السطر الذي فوقه نقطة واحدة وينقص اخره عن اخره ثلاث نقط ثم يرسم تحتها سطر اخر من نقط يزيد اوله عن اول السطر الثاني الذي فوقه نقطة، وينقص اخره عن اخره اربع نقط ويلزم ان تكون النقط ازواجا على مذهب حسن الزناتي المغربي أو تسعات على مذهب طمطم الهندي، وما بقي بعد ذلك يجعلون لكل عدد منه صورة من هذه الاشكال يزعمون انهم يستدلون بها على الاغراض المجهولة التي يريدون معرفتها، ومنهم من يستخدم هذه النقط للاستخارة في الامر الذي عزم عليه فيسقطا ثمانيات فاما ان لا يبقى شيء وهومذموم واما ان يبقى من الواحد إلى السبعة فالثاني والثالث مذمومان والباقي محمود، والعامة تسمي هذا العلم ضرب الرمل وصاحبه يسمى رمالا.

ان مسالة قدم كتاب الاي جنك تاريخيا ونسبة تداوله الى ما قبل الكتابة حيث كان يتداول شفويا نجد لها شبها في تاريخية علم الرمل حيث ينقل ابن خلدون في مقدمته ما يزعم اهل الرمل ان [اصل ذلك من النبوات القديمة ف العالم وربما نسبوها الى دانيال أو إلى ادريس صلوات

الله عليه شأن الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيتها ويحتجون بقوله (ﷺ) كان نبي يخط الرمل فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية ابن خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل لديه).

وبعض كتب الرمل القديمة تسرد الرواية التالية لارجاع قدم هذ ا العلم الىالنبي ادريس عليه السلام تقول الرواية عن سبب، تسمية علم الرمل هو (ان سيدنا ادريس عليه السلام ارسله الله إلى قومه وكان منتشرا في قومه علم التنجيم وفي ذات يوم كان ادريس عليه السلام مارا على ساحل البحر الاعظم، وإذا برجل جميل الخلقة يناديه يا ادريس فلهش كيف عرف هذا الرجل اسمه ولم يسبق بينهما معرفة وقال له كيف يا هذا عرفت اسمي قال من العلم الذي علمني به ربي هل تريد ان تتعلمه قال نعم : فخط له خطا في الرمل لأن الورق لم يكن موجودا في زمنه وكانت الارض صخورا و رملا لانه كان في العصر القديم فلكون اول خط وضع في الرمل سمي علم الرمل فلما علم هذا الرجل نبي اللّه ادريس علم الرمل قال له اضرب تختا وسل فيه عن الملاك جبريل اين هو الآن، فضرب الرمل على نية هذا السؤال فلما خرجت له الاشكال ونطقها قال يا هذا ان صدق هذا العلم جبريل ليس في السماء الآن ولكنه في الارض

وهو السائل اعني الرجل الذي علم ادريس وكان صحيحا ارسله الله إلى النبي ادريس على صورة ادمي ليعلمه. فذهب ادريس عليه السلام إلى قومه وقال لهم هل اعلمكم علما سهلا تعرفون منه كل شيء ماضٍ وحاضر ومستقبل قالوا نعم فعلمهم علم الرمل، ثم سالهم هل ارسل اللّه رسولا؟ وما اسمه؟ فضربوا جميعا الرمل فخرج لهم ان اللّه ارسل رسولا واسمه ادريس فامنوا به).

ان علم الرمل يقوم كما يقول المؤلفون على أساس النقطة وسرها الفرد ولما كانت هذه العناصر اربعة والاساس هنا النقطة الفردية ولما علموا ان عنصر النار أخف من عنصر الماء والماء اخف من عنصر الهواء والهواء من المعلوم ان الثقيل يحمل الخفيف والخفيف لا يحمل الثقيل جعلوا ترتيب العناصر هكذا نار ثم هواء ثم ماء ثم تراب وهذه العناصر تمتزج في بعضها وتتبادل بان يوجد النار في النار ثم ينتقل بان يوجد في الهواء أو الماء او التراب المذاب وحيث ان العنصر ينتقل في الاربع عناصر فيكون الاربعة في اربعة يساوي ستة عشر شكلا فتم توليد الـ ١٦ من الاربعة هكذا بان زوجوا النار ثم الهواء ثم التراب ثم زوجوا النار ثم

النار والهواء والماء وهكذا إلى اخر الستة عشر، ومعنى التزويج بان يضعوا بجوار نقطة العنصر نقطة ثانية فتتولد شرخة كما يسمونها أو خط متصل.

ولا تقف مسالة التشابه بين الأي جنك وعلم الرمل على القدم التاريخي وشكل البيوت أو الاشكال السداسية والرباعية في كل منهم بل تتعداه إلى الطقوس التي تمارس في كل منها فحيث راينا المباديء الاخلاقية والطقوس المستخدمة في الأي جنك نجد ما يقاربها او يشابهها في علم الرمل حيث نجد ان من شروطه عند المسلمين استقبال القبلة وان لا يكون وجهة جهة الغرب مطهرا من الاحداث والانجاس مكانا وبدنا وثوبا ويصلي لله ركعتين قبل الضرب بنية كشف الضمير ولا يخط وقت هبوب الريح ولا وقت نزول المطر ولا في قارعة الطريق ولا عند الزوال ولا عند شروق الشمس ولا عند غروبها بل يخط بعد الغروب الى طلوع الفجر وما بعد شروق الشمس إلى الزوال لا غير ولا يخط في يوم الغيم وأصح الرمل ما ضرب في الليل وليجعل الضارب القلم على البنصر حالة خط الرمل لأنه له اتصال بالقلب وان يكون القلم من بوص أو غيره وان لا يتكلم هو ولا احد لديه حالة العمل، وان يكون فرحا منشرح الخاطر خاليا عن الشواغل ولا يخط في يوم نحس وهم في كل شهر

سبعة ايام... الخ بل ويضعون شروطا لتلاوة بعض الايات من القرآن الكريم لزيادة التركيز على العمل. ولا شك ان هذه الشروط هدفها الاساس هو زيادة قدرة الفرد على التركيز للسماح للاشعور بممارسة دوره في هذا الجانب كما رأينا لدى تحليلنا للآي جنك.

ولعل ادق المشابهات التقنية بين الآي جنك وعلم الرمل هو في موقع الخطوط في الآي جنك وتحركنا وحتى انقلابها إلى ضدها وقوة بعضها على بعض حسب الموقع وهذا نجده في على الرمل حينما يقسمون البيوت ومواقع الاشكال، فالشكل معناه النقط والشرط (الخط المتصل) اما البيوت فهي المواقع التي تتخذها الاشكال في هذه البيوت أي ان موقع الشكل في البيت تعطي معاني اضافية ومتغيرات مختلفة فالبيت الاول الخامس والتاسع والثالث عشر نارية والثاني والسادس والعاشر والرابع عشر هوائية والبيت الثالث والحادي عشر والخامس عشر مائية والبيت الرابع والثامن والثاني عشر والسادس عشر ترابية، ولديهم ان الامهات وهي الاشكال الاربعة الاولى المستخرجة من النقط وسطورها الاربعة هذه الامهات نارية والبنات وهي اشكال اخرى لاحقة هي هوائية والحفيدات مائية والموازين وهي الزوائد ترابية.

ان تسمية البيوت باسم الامهات والبنات والحفيدات تشبه تسمية الأي جنك بالاب والام والابناء الكبيرة و الوسط والصغير والبنات الكبرى والصغرى والوسطى، ولو تتبعنا التشابه اكثر لوجدنا ان النار والهواء ذكر والماء والتراب انثى، بل ان الشكل الرباعي نفسه اربع طبقات الاولى نار والثانية هواء والثالثة ماء والرابعة تراب.

والحقيقة ان العناصر الاربعة تنعكس في علم الرمل كله وتلعب دورا في تمازجها ومواقعها في البيوت والاشكال وينعكس كل ذلك على مفاهيم التنبؤ الرملي.

يقول ابن خلدون وهو يشرح هذه الصناعة [ومحصول هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكالا ذات ابرع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردجية واستوائها فيها فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها أو افرادا كلها فشكلان وان كان الفرد فيها في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال، وان كان الفرد في مرتبتين فستة اشكال وان كان في ثلاث مراتب فاربعة اشكال، جاءت ستة عشر شكلا ميزوها كلها باسمائها وانواعها الى سعود و نحوس شان الكواكب وجعلوها ستة عشر بيتا طبيعية بزعمهم وكأن البروج الاثني عشر التي للفلك والاوتاد الاربعة

وجعلوا لكل شكل منها بيتا وخطوط ودلالة على صنف من موجـودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك حاذوا فيه فن النجاحـة ونـوع قضائه الا ان احكام النجاحة مستندة إلى اوضاع طبيعية يزعم بطليمـوس وهذه انما مستندها اوضاع تحكيمية واهواء اتفاقيـة ولا دليـل يقـوم علـى شيء منها.

ولا شك ان تحليل ابن خلدون لعمل الرمل هو نفـس تحليـل يونـغ لعمل الأي جنك ولكن بعبارات العصر الذي هو فيـه حيـث يـشير ابـن خلدون إلى ان [الغيوب لا تدرك بصناعة البتـة ولا سـبيل إلى تعرفهـا الا للخواص من البشر المفطـورين علـى الرجـوع مـن عـالم الحـس إلى عـالم الروح... فالخط - الرمل - وغيره من هذه ان كان النـاظر فيـه مـن اهـل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها مـن الـنقط أو العظـام أو غيرها من اشغال الحس لترجع النفس إلى عالم الروحانيات لحظة مـا فهـو من باب الطرق بالحص والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الـشفافة كمـا ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد الغيب هذه العناية وانها تعنيـه ذلـك فعذر من القول والله يهدي من يـشاء، والعلامـة لهـذه الفطـرة الـتي فطـر عليها اهل هذا الادراك الغيبي انهـم عنـد تـوجههم إلى تعـرف الكائنـات

يعتريهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتثاؤب والتمطط ومبـاديء الغيبـة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اخـتلاف وجودهـا فـيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيـب في شـيء وانمـا هـو ساع في تنفيق كذبه.

أي ان ابن خلدون يعتقد بالطاقة النفسية الخارقة لدى بعض النـاس وممارستهم الغيبوبة في هذا العمل لكـي يـستطيعوا ان يحققـوا النجـاح في التنبؤ بالغيب فعلم الرمل وخطوطه كـالأي جنـك انمـا محاولـة لاسـتثاره اللاشعور الجمعي ليتحدث عبر هذه الانشغالات الخطية ولحظات الصفاء الذهني المركز على الخطوط المتصلة والمتقطعة في الأي جنك وكل النقـاط والخطوط كما هي في علم الرمل ولا شيء غير ذلك.

المصادر والمراجع

١	حكمة الصين	فؤاد محمد شبل
٢	مجلة المعرفة السورية	
٣	الإنسان وقواه الخفية	كولن ولسن
٤	أي حبدء	ترجمة كلاي فنتون
٥	الخاسة السادسة	د. سليمان النجار
٦	جذوء المصادفة	ارثر كوستلر
٧	موسوعة الظواهر الخفية	ريتشارد كيفنديش
٨	اللااعتيادي	ستان كوشر
٩	التزامنية	نخبة من الاساتذة
١٠	تاريخ الفلسفة الحديث	يوسف كرم
١١	الرياضيات والبحث عن المعرفة	موريس كلاين
١٢	الإنسان ورموزه	كاول يونغ واخرين
١٣	تطوير المهارات النفسية	انا هيد هوفمان
١٤	الباراسايكولوجية الجديدة غدا	جان باري
١٥	محيط المندي	البستاني
١٦	مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون
١٧	نشرة الباراسايكولوجي	اعداد مختلفة


منتدى سور الأزبكية